الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية – شعبة التاريخ

التحولات الاجتماعية والثقافية في الجزائر

(1830-1900م)

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:

لويزة وضحة

دليلة بولقدام

إشراف الأستاذ:

أحمد بن يغزر

السنة الجامعية1437/1438هـ.

2016 /2017م.

شكر وعرفان

بـــــــــــسم الله الرحمن الرحـــــــــــــيم

قال الله تعالى:**"وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم"** سورة إبراهيم ،الآية 7.

الحمد لله رب العرش العظيم والصلاة والسلام على خير الأنام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد:

أولا نشكر الله ونحمده على توفيقه لنا على إنجاز هذا العمل المتواضع.

كما نتوجه بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف **أحمد بن يغزر** على قبوله الإشراف على موضوع تخرجنا لنيل شهادة الماستر، الذي كان بمثابة الأب لبناته بتوجيهاته وإرشاداته الوجيهة، والأستاذ المرافق لطلبته الذي لم يبخل علينا بنصحه وصبره، فكان مؤديا لواجبه في متابعة حيثيات الموضوع ،فجزاه الله عنا أحسن جزاء وجعله منارة للبحث والباحثين.

و نتقدم بالشكر الخالص للوالدين الكريمين الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي فكانوا لنا سندا معنويا وماديا فنسأل الله أن يحفظهم و يرعاهم لنا.وجزيل الشكر لأختي مريم على المجهودات التي قدمتها.

وشكر موصول إلى كل أساتذة المرحلة الإبتدائية،المتوسط، الثانوي و أساتذة جامعة الجيلالي بونعامة وخاصة أساتذة قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم وتوجيهاتهم التي أفادتنا في إنجاز هذا العمل، ونخص بالذكر كل من الأساتذة: محرز، قدومه،حمري، سرساق، سيدي صالح، نعلمان، صحروي، فكاير، سعيداني، حماتيت،أوفة،قلفاط ...

ونشكر كل عمال مكتبة العبادية وعين الدفلى وكذا المكتبة الجامعية ونخص بالذكر الأخت زهرة للتسهيلات التي قدمتها لنا لإتمام هذا العمل.

كما ليفوتنا أن نتوجه بالشكر لجميع طلبة قسم التاريخ بكل تخصصاته وكل طلبة جامعة الجيلالي بونعامة.

وفي الأخير نقدم الشكر المسبق إلى لجنة المناقشة على تحملها عناء القراءة هذا العمل.

والحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وشكرا ...

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العلم وبصيرة الفهم وهداية الإسلام.

إلى اللذين قال فيهما جل وعلا "**وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** " سورة الإسراءالآية24.إلى من كانت سندا لي بإكرامها ومحبتها ودعائها إلى **أمي ثم أمي... الغالية** ، وإلى أبي الذي سعى لتعليمنا وتحدا الواقع، فكان نور الذي أنار لي طريق الرشاد، وساير مشواري التعليمي بكل صبر إليك **أبي الغالي أحمد** ، إلى جدي عبد القادر رحمه الله الذي ستبقى ذكراه حية في قلوبنا، وجدتي حفظهما الله، وجدي أطال الله في عمره ،إلي إخوتي المتميزين أنار الله دربهم لطريق الخير أختي مريم وزوجها محمد وابنها أحمد، وأختي فاطمة التي تحملت معي عبئ إنجاز هذه المذكرة، وأختي آمنة وخديجة وسليمة وإخواني محمد وإسماعيل وعبد القادر وكتاكيت سلسبيل وحمزة جمعهم الله على الهدى ، وإلى عمي عبد الله ، وإلى كل عائلتي بولقدام و بوجاجة حفظهم الله.

وإلى كل من علمني حرفا.

إلى زميلتي لويزة التي قاسمتني عبئ إنجاز هذه المذكرة بصبر واجتهاد وإلى عائلتها الكريمة حفظها الله. إلى كل من ساهم في هذا العمل ولو بدعاء.

إلى جميع زميلاتي وصديقاتي: وإلى كل من أعرفهم اسما اسما.

إلى روح شهدائنا الأبرار وشهداء الأقصى وإلى أبناء الجزائر المخلصين.

وفي الأخير نحمد الله الذي منحنا الصبر لإنجاز هذا المشروع المتواضع وإخراجه بهذا الشكل فجعله الله بركة أعمالنا.

شكرا والسلام عليكم ورحمة الله **أختكم في الله دليلـــــة**

إهـداء

إلى الذين قال فيهما الحق تبارك وتعالى:"وَعْبُدُواْ اللهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحَسانًا" (سورة النساء الآية 36)، وخصهما بالطاعة وميزهما برقي المنزلة وجعل بين أيديهما مفاتيح الجنة، إلى أمي الغالية "مريم" التي علمتني الصبر والاجتهاد وكان دعائها سر نجاحي.

إلى الذي لم يبخل علي بكل ما يملك والذي إن بقيت أعد فضائله فلن أحصيها، إلى من كان خير سندا لي في الحياة وأحمل اسمه بكل افتخار أبي الحنون "لحسن".

إلى من علموني معنى الحياة، وكانوا لي خير سند في مشواري الدراسي إخوتي: أخي محمد وزجته سعاد وابنتهما مريم، أخي عبد الله وأسامة وعبد القادر، وأختي فتيحة ومليكه و اللؤلؤة سليمة.

إلى العائلة الكبيرة والصغيرة من الأهل والأقارب" عائلة وضحه وبراهمين".

إلى رفيقات دربي وصديقاتي: ذهبية، عبلة،حسيبة، فاطمة، حنان، فتيحة،سعيدة.

إلى الصديقة والأخت أمينة قاري وابنتها إلى من قاسمتني هذا العمل المتواضع دليلة.

إلى كل من مد لي يد العون في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة.

إلى الوطن الذي استشهد من أجله خيرة أبنائه.

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

لكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع راجية من الله سبحانه وتعالى أن يتقبله منا ويجعله في ميزان الحسنات وأن يستفيد منه كل من يطلع عليه.

لـــــــــويزة

المختصرات:

تر: ترجمة

تح: تحقيق

ط: طبعة

طخ: طبعة خاصة

ص: صفحة ص ص تعدد الصفحات

ج: جزء

د ت: دون تاريخ

د ب ن: دون بلد النشر

مج: مجلد

م: الميلادي

هـ: الهجري

ع: العدد

Abréviation et sigles

P : page

op.cit : opéro citato

مـــــقـــدمـــــــة

مـــقـــدمـــــــــــــة:

إذا كان الجانب السياسي والعسكري للجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي قد استهلك من طرف الباحثين في أغلب جوانبه، فإن الجانب الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري لا يزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتقصي وذلك ل قلة الدراسات حولهما، ولهذا ارتأينا الخوض في دراسة هذين الجانبين من خلال دراستنا المرحلة الأولى من الاحتلال أي سبعين سنة الأولى وعليه جاء عنوان بحثنا على النحو التالي:

"**التحولات الاجتماعية والثقافية في الجزائر(1830- 1900م)**".

أما الإطار الزماني لهذه الدراسة فيمتد من سنة1830م والذي يعتبر بداية واقع جديد سيشهد الجزائريون في ظل الاحتلال الفرنسي وسياسته،علاوة على دخول عنصر دخيل فضاء المجتمع الجزائري باختلاف عقيدته وثقافته وحتى نمط حياته ومحاولته العمل على ترسيخ أسلوبه، بهدف مسخ المجتمع الجزائري، وهذا ما نتج عنه حدوث العديد من التحولات في الجانب الاجتماعي والثقافي،أما عن سنة 1900م فهي بداية تحول جديد ستشهده الجزائر على إثر صدور قانون جونار 1901م خاصة في الميدان الثقافي.

أما عن دوافع اختيار الموضوع: فيمكن حصرها في دوافع ذاتية وموضوعية أما عن الأسباب الذاتية هو ميلنا للجانب الثقافي والاجتماعي، و كذا ارتياحنا للموضوع من حيث أنه جديد في طرحه يعالج قضية نادرة الدراسة جامعيا، أما الأسباب الموضوعية : فتعود لقلة الدراسات حول المجال الثقافي والاجتماعي وكذا حرصنا للخروج عن المعتاد في المذكرات الجامعية بالتركيز على المواضيع السياسية والعسكرية أكثر من غيرها.

أهمية الموضوع: يبرز في كونه يعالج الجانب الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري في الحقبة الأولى للاستعمار الفرنسي الذي لا يزال حسب اعتقادنا لم يلق حظه الكافي من الدراسة مقارنة بالجوانب السياسية والعسكرية.

وكذا لأنه يدرس مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر وهي السبعين سنة الأولى من الاحتلال، كما أنه يسلط الضوء على مختلف التحولات التي مست عمق المجتمع الجزائري في الجانب الثقافي والاجتماعي في هذه الفترة.

أما عن الهدف المتوخى من إنجاز هذه المذكرة هي لتكون إضافة لرصيدنا المعرفي وللطلبة، ولتكون ربما بداية للاعتناء واهتمام الطلبة بالمواضيع التي تختص بالمجتمع والثقافة في عهد الاستعمار الفرنسي .

لم يرتكز الاستعمار الفرنسي لتثبيت وجوده في الجزائر على الجوانب العسكرية والسياسية فقط بل تجاوزه للسعي إلى تكريس ولاء المجتمع الجزائري لثقافته ونمط حياته، مما كان له بالغ الأثر على تغيير الواقع الاجتماعي والثقافي للجزائريين في ظل اختلاف المواقف الجزائرية إزاء ذلك، وفي هذا السياق نطرح **الإشكالية التالية:** إذا كان البعض يرى أن فرنسا كانت تهدف من وراء سياستها الاجتماعية والثقافية إلى إدخال الفرد الجزائري في الحضارة، فإن هناك من يرى عكس ذلك بقوله أن فرنسا لم تسعى لذلك بل كان هدفها تكوين جيل ضائع بين حضارتين متناقضتين. فإلي أي مدى يمكن تعليل ذلك؟

ـ فيما تتمثل أهم التغيرات التي مست البنية الاجتماعية في ظل الاحتلال الفرنسي مقارنة بالعهد العثماني؟ وهل كانت هناك استجابة من الطرف الجزائري؟

ـ بعد مضي أكثر من أربعين سنة من السيطرة الفرنسية على الأرض والثقافة هل بقي المجتمع الجزائري(الفئة المثقفة) راضخا أم هناك ما كان يدل أن الجزائر ستشهد تحولا جديدا من صنع أيدي جزائرية؟

للإحاطة بالموضوع من جانبيه الاجتماعي والثقافي سطرنا خطة عمل تتألف من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة بحيث أشرنا في الفصل التمهيدي للأوضاع الاجتماعية و أهم ما ميز المجتمع في أواخر العهد العثماني فتطرقنا لعدد السكان وكذا التركيبة السكانية في

حين عرجنا على الوضع المعيشي والصحي للسكان وكذا الأدوار الاجتماعية للمرأة الجزائرية، ومن الناحية الثقافية تطرقنا للتعليم ومراحله أواخر العهد العثماني تناولنا الإنتاج الفكري والموروث الأدبي الذي ميز الحياة الثقافية، مبرزين مدى اهتمام وتمسك السكان بعاداتهم وتقاليدهم وكذا مدى حرصهم على توفير جو من الترفيه والتسلية.

أما الفصل الأول فتعرضنا فيه لأهم التحولات الاجتماعية التي ميزت الجزائر المستعمرة من حيث تفكك البنية الاجتماعية لسكان الجزائر و تغييب الرموز و المرجعيات الدينية والعلمية المؤثرة في المجتمع بغية تنصيره، بالإضافة إلى انتشار الفقر وتدهور الحالة الصحية علاوة على تغير التركيبة واختلال التوازن السكاني، وباعتبار الهجرة شكلت تحولا عميقا في الجزائر تطرقنا إليها أسبابها ومراحلها وأثارها على المجتمع.

الفصل الثاني خصصناه للحديث عن أهم نقاط التحول من الناحية الثقافية التي أحدثها الاستعمار الفرنسي. فركزنا حديثا على الإنتاج الثقافي وأهم القضايا المعالجة، كما تطرقنا لوضعية التعليم والتحولات التي طرأت عليه، وبينا الموقف العام من المدرسة الفرنسية والذي كان متباينا، في حين عرجنا على مساعي المؤسسات التعلمية ودورها في التصدي والمقاومة الثقافية .

كما تعرضنا إلى بدايات الأولى للإصلاح في الجزائر من حيث محاولة الفصل فيما إذا كان الإصلاح حقيقة بدأ في أواخر القرن 19م أم لا بإضافة إلى التعرف على أسباب ظهور الإصلاح، وكذا أهم الوسائل المستخدمة لإبراز أفكارهم.

ختمنا دراسة هذا الموضوع بخاتمة تحمل جملة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها بعد دراستنا للموضوع.

وذيلنا المذكرة ببعض الملاحق التوضيحية وقائمة للببلوغرافيا والفهارس وفق ما يتطلبه البحث العلمي.

وبما أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج المتبع في الدراسة لذلك اتبعنا طريقة عرض القضايا وفق المنهج التاريخي الوصفي وذلك من خلال تتبع الأحداث ووصفها وسردها و كذا تحليل بعض القضايا المحورية في الموضوع.

المصادر والمراجع :

ومن المصادر التي اعتمدت لانجاز هذا العمل: نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

ـ كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة والذي يعد مصدرا مهما عن الأوضاع الاجتماعية للجزائر أواخر العهد العثماني ومع البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي، إلا أن بعض تقديراته ومعلوماته غير دقيقة وقد يكون مبالغ فيها في بعض الأحيان.

ـ كتاب إرشاد المتعلمين لعبد القادر المجاوي والذي يعتبر من المصادر المهمة لمعرفة الوضع الثقافي للجزائر أواخر القرن التاسع عشر، واستشهدنا به لتأكيد بدايات الأولى للإصلاح.

أما المراجع فنذكر:

ـ كتاب أوروبيون و أهالي ويهود بالجزائر 1830-1962م تمثيل وحقائق السكان، لكمال كاتب، ترجمة رمضان زبدي، يعتبر مرجعا مهما في معرفة أهم التحولات الاجتماعية و التي أشار إليها الكاتب والتي كانت نتيجة لسياسة الاستعمارية.

ـ كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لسعد الله أبو القاسم وهو الآخر يعد مرجعا مهما خاصة في الجانب الثقافي باعتباره المرجع الوحيد الذي تناول الحياة الثقافية للجزائريين بأكثر دقة وتفصيل.

ومن الصعوبات التي واجهتنا خلال هذا العمل هي: كون أغلب المراجع والمصادر التي تتناول فترة الموضوع الذي نحن بصدد انجازه تركز على السياسة الفرنسية في الجزائر بعيدا عن الأوضاع الثقافية والاجتماعية للجزائريين بالإضافة إلى أنها تتطرق للجوانب السياسية والعسكرية والإدارية دون إعطاء أهمية أو أولوية لجوانب أخرى، وكل ذلك كان له انعكاس سلبي في جمع المعلومات، بالإضافة إلى تشعب الموضوع مما صعب علينا إلمام بحيثياته.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نحمد الله على تمام هذا العمل، ونغتنم الفرصة لنوجه شكرنا إلى أستاذنا المحترم الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه ومتابعته لنا طوال البحث.

الفصل التمهيدي:

الأوضاع الاجتماعية والثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني

قد يكون من الصعب تناول موضوع الأوضاع الاجتماعية للجزائر أواخر العهد العثماني، وذلك لقلة ما يتوفر من مصادر أولت اهتمامها بهذا الجانب.

إذا كانت الدولة العثمانية قد ارتكزت لتثبيت وجودها في الجزائر على اهتمام بالجانب السياسي والعسكري فإن الجانب الثقافي والاجتماعي لم يلق كثير اهتمام من طرفها وهذا ما سنحاول معرفته في هذا الفصل.

المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية:

سنتطرق في هذا المبحث إلى التنظيم الاجتماعي، الذي كان يخضع في المدن للتنظيم التفاضلي (أتراك، كراغلة...)في حين كان المجتمع في الأرياف يخضع ل لنظام القبلي يمثله شيخ القبيلة.

1-السكان (عدد السكان، التركيبة السكانية):

أ-**عدد سكان:** لا يمكن الجزم بالتعداد الحقيقي لسكان الجزائر في أواخر العهد العثماني ، وذلك لعدم وجود إحصائيات إدارية مقننة، فنجد تضاربا بين المؤرخين، الذين قدروه ما بين مليون وعشرة ملايين نسمة ، فللقنصل الأمريكي وليام شالر يقدر عدد سكان الإيالة بمليون نسمة[1] كأقل تقدير، في حين يقدرها حمدان خوجة بعشرة ملايين نسمة [2] فإذا أخذنا برأي الأول فإنه يبدو غير معقول، فلربما أن شالر كان يعني عدد سكان مدينة الجزائر دون تقدير عدد سكان الأرياف الذين كانت تقدر نسبتهم ب95 % من إجمالي عدد السكان. أما إذا أخذنا برأي حمدان خوجة فإنه يبدو مبالغاً لأنه من غير المعقول أن يكون عدد السكان عشرة ملايين نسمة ، نظرا لما أصاب الجزائر من الأوبئة والكوارث خاصة مع بداية القرن 19م (كما سنرى في العنصر الموالي) فكان نتيجة ذلك وفاة العديد من السكان ،بالإضافة إلى

[1] – وليام شالر : مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تر، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982ص38.

[2]– حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تر، محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005 ص13

تراجع عدد الانكشاريين، ومن جهة أخرى كانت هناك العديد من الثورات كثورة ابن الأحرش والدرقاوي ...ونتيجة لذلك فمن الممكن أن يكون تقدير حمدان خوجة صالح و أنسب للقرن 17م أو 18م.

وعليه فإننا نميل لرأي أغلب المؤرخين الذين قدروا عدد سكان الجزائر بثلاث ملايين نسمة.

ب- التركيبة السكانية :

لقد عرفت الجزائر في أواخر العهد العثماني اختلافا في التركيبة السكانية بين ساكني الأرياف والمدن، بالإضافة إلى أن جل سكان الجزائر من قاطني الأرياف بنسبة 95 % مقابل 5 % من سكان المدن.

تأتي على رأس الهرم الاجتماعي لسكان الجزائر فئة الأتراك التي تعتبر الفئة المسيطرة على مقاليد الحكم في الجزائر [1] برغم من أنها تشكل الأقلية فهي لا تزيد عن عشرين ألف نسمة [2]، وما ميز هذه الفئة أنها لم تنصهر ضمن المجتمع الجزائري، بل ظلت منغلقة ومنعزلة على نفسها محافظة على تقاليدها ولغتها ومذهبها الحنفي [3].

ولكي يحافظ الأتراك على استمرار سلالتهم في الجزائر كانوا بين الفينة و الأخرى يحضرون " جماعات من الأتراك الأناضول للعمل في فرق الأوجاق"[4].

أما الطائفة الثانية في سلم التنظيم الاجتماعي فهي فئة الكراغلة [5]أو كما يسميه م البعض كوله أوغلي ،وكانت هذه الفئة من بين أكثر السكان ثراءا في الجزائر [1].

---

[1]- مجهول: أخبار قسنطينة وحكامها، تح، رياض بولحبال، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية،2009- 2010 ص 32.

[2]- نصر الدين سعيدوني :عالم القرن التاسع عشر ،عصر الأمير عبد القادر، البصائر للنشرو التوزيع، الجزائر،2012، ص103.

[3]- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830،دار هومة، ط 2 ، الجزائر،2007،ص257.

[4]-نصر الدين سعيدوني : النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر 1985 ص43.

[5]- هم نتاج أب تركي أم جزائرية.

وبالرغم من أن الكراغلة والأتراك يشتركون في الأصل [2]، إلا أنهم لم يسمحوا لهم في الاشتراك أو الارتقاء إلى المناصب السامية في الدولة [3] إلا في حالات نادرة،فحسب الأسير بفايفر أن تقلدهم لبعض المراكز يعود إما عن طريق أبائهم أو عن طريق أموالهم وأبزر مثال على ذلك عصمان باي حاكم بايليك قسنطينة (1803-1804)[4]وأحمد باي حاكم قسنطينة (1826-1837).

في حين تأتي فئة الحضر في الدرجة الثالثة ضمن السلم الاجتماعي، تعد من السكان الأصليين للإيالة التي يطلق عليهم (البلدية)[5]حيث يعرفهم الأستاذ نور الدين عبد القادر بأنهم "هم الجزائريون أصالة الذين توطنوا مدينة الجزائر منذ زمان"[6]

لم يكن لفئة الحضر اهتماماً بالسلطة أو بالمناصب السياسية، إلا أن هناك من تولى بعض المناصب كالقضاء والإفتاء والكتابة وبعض آخر كان محل ثقة واحترام من قبل الحكام على غرار السيد حمدان خوجة [7]،وضمن هذه الفئة اشتهرت عدة عائلات كان لها أدوار مختلفة سواء في السلطة أو المجتمع مثل عائلة حمدان خوجة وبوضربة ...الخ[8] إلا أنها سرعان ما ستفقد أهميتها بعد الاحتلال.بالإضافة إلى ذلك هناك طائفة أخرى ضمن التركيب

---

[1]– سيمون بفايفر: مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر، أبو العيد دود، دار هومة، الجزائر2009، ص184.

[2]–سعيدوني:النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، مرجع سابق ،ص44.

[3]– ذلك خوفا من سيطرتهم على البلاد بحكم قرابتهم من الأهالي وارتباطهم بالبلاد . أنظر سعيدوني، نفسه: ص44.أو بحكم أنهم كثيري الثورة على الأتراك مجهول، أخبلو قسنطينة، مرجع سابق ص32.

[4]– محمد الصالح بن العنتري: تاريخ قسنطينة، تح، يحي بوعزيز، دار البصائر، طخ، الجزائر، 2009، ص69.

[5]– البلدية: بفتح الباء وسكون اللام وكسر الدال .عبد القادر نور الدين : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر،2006، ص143.

[6]– نورالدين: نفسه، ص 143.

[7]– سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، مرجع سابق، ص45.

[8]– لتفاصيل أكثر أنظر: سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، مرجع سابق ص106.

السكاني للمدن وهي طائفة البرانية[1] التي تتشكل من مجموعة السكان الذين غادروا الأرياف والتحقوا بالمدن بحثا عن العمل ، أو فرص أحسن للعيش فكان ت كل فئة تحتكر أعمال خاصة به ا فالميزابيون احتكروا أعمال المشرفين على الحمام وشكلوا أغلبية الجزارين والرحويين[2] ويعدون من أغنى مجموعات البرانية [3] وذلك بحكم الامتيازات التي منحت لهم لهم من قبل السلطة منذ حملة شارلكان على الجزائر سنة 1541م[4].

كان على رأس كل فئة من فئات البرانية وكيلا لبلادهم يرعى شؤونهم يلقب بالأمين [5](أي أمين الميزابيين...)ويكون على دراية بكل شخص دخل المدينة من فئته.

فئة الدخلاء :التي يعرفها الأستاذ سعيدوني بأنها طائفة متميزة عن مجموع السكان لأسباب دينية وحضارية، فهي تعتبر دخيلة على المجتمع الجزائري،غير أنها أحسن حالا من الطبقة البرانية من حيث مستوى المعيشة[6].

ومن بين جماعة الدخلاء نجد العبيد السود، و المسيحيين (العبيد والأحرار)واليهود[7] في حين كانت فئة اليهود أكثر بروزا وثراء ا من الفئات الأجنبية ،وقد عرفوا بالخبث والتحايل في معاملتهم [8]، وقدر القنصل الأمريكي شالر عددهم بثلاثة ألاف نسمة [9]ونظرا لممارسة

---

[1]– يعرفها نور الدين عبد القادر: بأنهم الجزائريون الذين كانوا يأتون من مداخل البلاد من النواحي المختلفة للعمل بها أو التجار كأهل جرجرة والجنوب الجزائري كأهل الأغواط بلاد ميزاب. نور الدين:مرجع سابق ص143.

[2]– وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر،تح، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر2007،ص99 –100.

[3]– عباد: مرجع سابق، ص359.

[4]– بفايفر: مرجع سابق، ص 163.لتفاصيل أكثر حول الامتياز أنظر: سبنسر، مرجع سابق، ص163 ما يليها.

[5]–عباد: مرجع سابق، ص360.

[6]– سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792–1830)، مرجع سابق، ص47.

[7]– عباد: مرجع سابق، ص360.

[8]– مجهول: أخبار قسنطينة، مرجع سابق، ص33.

[9]– شالر: مرجع سابق، ص38.

لممارسة اليهود للسمسرة والربا، ،مكنهم ذلك من اكتساب ثروات ضخمة، على حساب الدولة الجزائرية

وسكانها مما أدى بالأهالي للثورة عليهم [1].

وبعد أن تطرقنا لتنظيم السكان في المدن نعرج على سكان الأرياف، الذين يعتبرهم حمدان خوجة أهم مصدر للثروة [2].ولكن هل سيستمر الريف في أداء هذا الدور بعد و خلال الاحتلال الفرنسي؟. ويعرفهم الأستاذ الزبيري "بأنهم الرحل الذين يعتمدون في حياتهم على تربية الماشية، أو الريفيون الذين يعيشون من منتوج الأرض"[3].

وقد تميز المجتمع الريفي بالطابع القبلي، فقامت القبيلة بدورها في إرساء معالم هذا المجتمع[4]، وصنف الأستاذ سعيدوني سكان الأرياف والبوادي حسب موقفهم من الحكومة التركية إلى ثلاث أصناف: الصنف الأول هم قبائل المخزن المتعاونة مع السلطة، والصنف الثاني هم قبائل الرعية الخاضعة مباشرة لحكم الأتراك بالجزائر ، أما الصنف الأخير فهم الفئة المستقلة عن السلطة [5] وهي تكون قبيلة مستقلة متواجدة في الجبال، فأصبحت ملاذا وملجأ وملجأ للناقمين على السلطة [6]

هذا عن التركيبة السكانية للجزائر أواخر العهد العثماني، إلا أنها ستعرف تغييرا بصفة تدريجية بداية من 1830م .

2-الوضع المعيشي والصحي:

---

[1]- سعيدوني : النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، مرجع سابق، ص ص 46- 47. لتفاصيل أكثر حول الثورات (أي 1805) أنظر :سعيدوني، نفسه ص ص 46- 47.

[2]- خوجة : المرآة، مرجع سابق، ص13.

[3]- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص46.

[4]- أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ،السنة الجامعية2005- 2006، ص 54.

[5]- سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، مرجع سابق، ص49.

[6]- مجهول: مرجع سابق، ص33

أ-الوضع المعيشي :

لقد عرف المجتمع الجزائري أوضاع اً معاشية متقلبة بين فترة وأخرى، وذلك نتيجة لعدة عوامل تحكم ت في تراجع المستوى المعيشي، ومن جهة أخرى كان هناك فرق شاسع بين مجتمع المدينة والريف [1] فقد كان سكان المدن يعيشون نوعا من الرخاء، نتيجة لامتلاكهم البساتين[2]، على عكس ذلك كان سكان الأرياف يعيشون أوضاعا صعبة نتيجة لاعتمادهم على الفلاحة المعاشية أو كخماسين، ومن جهة أخرى أدى ارتفاع الضرائب على المحاصيل الزراعية إلى ممارسة نشاط تربية المواشي ،أو الاعتماد على زراعة بسيطة في الأراضي الجبلية بعيدا عن أنظار قبائل المخزن[3].

وعليه فإن ما ميز الوضع المعيشي للمجتمع الجزائري هو الفقر نتيجة لانتشار المجاعات بصفة دورية ،ويعود ذلك للجفاف والجراد الذين أدى إلى إتلاف الإنتاج الزراعي...[4].

ونتيجة لذلك ارتفعت الأسعار ارتفاعا فاحشا وهذا ما يؤكده نقيب الأشراف الشريف الزهار بقوله:"بعد ذهاب الاسبانيول في المرة الأخيرة، وقع الغلاء في القمح مدة ست سنوات وأعطى اللّه القحط والجوع في الناس حتى صارت قيمة الصاع الجزائري أربع بجة والناس يموتون جوعا في الأسواق"[5] مما اضطر الداي إلى استيراد الحبوب من موانئ البحر الأسود[6].

---

[1]- سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م،عالم المعرفة، طخ، الجزائر 2011،ج1، ص157.

[2]- نصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط 2، الجزائر 2013، ص168.

[3]- نفسه: ص ص 168- 170 .

[4]- عائشة غطاس : أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني المجاعات الأوبئة (1787-1830)،المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 17 و18، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات،1998، تونس، ص361.

[5]- الشريف الزهار: مذكرات شريف الزهار نقيب الأشراف الجزائر، تح، أحمد توفيق المدني، دار البصائر، الجزائر، د ت، ص50.

[6]- غطاس: أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني المجاعات الأوبئة، مرجع سابق، ص363.

وتوالت المجاعات في البلاد، ففي سنة 1803م اجتاح الجراد البلاد وعم القحط والجوع في كل ربوع الإيالة، وهذا ما يؤكده العنتري في قوله"القحط والجوع أدى بالناس إلى التآكل"[1].وفي سنة 1805م حدثت مجاعة بالبلاد واشتدت وطأتها على السكان في مختلف جهات البلاد، ولاسيما الجهة الشرقية للبلاد [2]، وهذا ما سجله العنتري في قوله " أنزل اللّه القحط على الخاص والعام حتى صاروا العباد يأكلون لحوم بعضهم من شدة الجوع وانقطاع الطعام واستمر ذلك مدة سنة كاملة ثم عفى (كذا)اللّه وزالت المجاعة"[3].

وعلى إثر هذه المجاعة وصل سعر صاع من القمح بأسواق مدينة الجزائر إلى ما لا يقل عن 15 ريال بوجو و هو سعر مرتفع جدا إذا ما قرناه بالمستوى المعيشي للسكان في ذلك الوقت[4]ولتفادي حدوث حالة الجوع والقحط مرة أخرى،قام الداي عمر باشا في سنة 1814م 1814م من اتخاذ جملة من الإجراءات وهذا ما سجله الشريف الزهار " ووقع الغلاء في تلك السنة (1814م)وأعطى الأمير(الداي عمر باشا) القمح للخبازين وجعل له سعرا على سعر أيام الرخاء وأمر الخبازين أن يقوموا بعمل ما يلزم للبلاد"[5].

كما قام الداي علي باشا سنة 1816م بإصدار قرار نص على منع تصدير الحبوب في كل من قسنطينة ووهران، بالإضافة إلى قيامه باستيراد كميات من الحبوب لتموين مدينة الجزائر[6]،مما يعني أن هذه الأخيرة كانت تعرف ضائقة من حيث الإنتاج الزراعي بالمقارنة مع بقية البياليك الأخرى. بالإضافة إلى أثار الجراد والمجاعات التي أصابت السكان، كانت

---

[1]– نقلا عن فلة مساوي قشاعي : الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وفي أوائل الاحتلال (1518– 1871) أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2003–2004 ،ص89.

[2]– غطاس: أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني ...، مرجع سابق، ص362.

[3]– العنتري: تاريخ قسنطينة، مرجع سابق، ص 73.

[4]– سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، مرجع سابق، ص169 .

[5]– الزهار: مرجع سابق، ص145.

[6]– غطاس: أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني...، مرجع سابق، ص364.

الجزائر عرضة لخطر الجفاف [1]الذي له انعكاس مباشر على الوضع المعيشي للجزائريين ونذكر على سبيل المثال جفاف عامي 1826م و1827م[2] الذي أصاب البلاد فأطلق على تلك السنوات "بعام خبز الباشا"[3].

ساهمت المجاعات واجتياح الجراد والجفاف في تدهور الأوضاع المعيشية للمجتمع الجزائري، مما أدى لوفاة أعداد كبيرة من السكان بالإضافة إلى انتشار الأمراض، فكانت نتيجة ذلك النقمة على الحكام معتبرين إياهم سبب البلاء وغلاء المعيشة.

1 الوضع الصحي:

ما ميز هذه الفترة هو انتشار مختلف الأمراض والأوبئة ، وعلى الخصوص مرض الطاعون، فإلى ما يرجع ظهورها بصفة دورية في البلاد؟.

حسب بوحجر عثمان فإن إيالة الجزائر عرفت تدهورا كبيرا من الناحية الصحية، ويعود ذلك إلى انتشار الأمراض وانتقال العدوى من الدول التي تتعامل معها الإيالة كالدول الأوروبية وبلاد السودان والمشرق العربي، ومن بين تلك الأمراض وباء الطاعون لسرعة انتشاره وفتكه بالسكان،بالإضافة إلى الأمراض كالكوليرا والتيتانوس، والجدري والسل ...[4] أما إذا تحدثنا عن وباء الطاعون فيرجع "بهرل" سبب ظهوره في بلد ما إلى "سنوات عديدة وصعبة ويعني

---

[1]– أي جفاف 1800م–1807م– 1816م– 1819م لتفاصيل أكثر حول الموضوع أنظر : توفيق دحماني،الضرائب في الجزائر(1206–1282هـ/1792–1865)، دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،قسم التاريخ،جامعة بن يوسف بن خدة، السنة الجامعية2007–2008،ج1، ص137 وما يليها.

[2]– غطاس: أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني...، مرجع سابق، ص364.

[3]– نفسه : ص364.

[4] – عثمان بوحجر: الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519–1830 مقاربة اجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2014–2015،ص 46.

وعلى عكس هذا الرأي يرى حمدان خوجة أنه لم يكن بمدينة الجزائر، رجالا من ذوي العاهات أو المصابين بالأمراض المزمنة مثل النقرس الجلد، ولكنه استثنى مرض الزهري أو باريس مؤكدا أنه حديث ظهور ويعالج بحمية . لتفاصيل أنظر: خوجة، المرآة، مرجع سابق، ص 67.

بذلك المجاعة الشيء الذي يجعل السكان في وضعية غير ثابتة وأكثر حساسية وقابلية لداء الطاعون بحيث يتعاقب على السكان الجفاف ثم المجاعة ثم الوباء ،فالمجاعة ثانية "[1] ،وهذا ما ذهبت إليه الأستاذة قشاعي[2].

إن ما يمكن ملاحظته أن وباء الطاعون كان كثير الظهور في الجزائر، فبعد اختفاء دام ثلاث سنوات، ظهر مجددا سنة 1799م بمدينة الجزائر ثم قسنطينة ومن ثمة جميع أطراف البلاد [3]، واستمر إلى غاية 1804م [4].

وكان أخر ظهور له ما بين 1232هـ-1239هـ / 1816-1822م[5] انطلاقا من مدينة عنابة وذلك اثر دخول سفينة من الإسكندرية إلى مينائها ، أما بمدينة الجزائر فكا ن ظهوره عن طريق السفن التي أهداها السلطان العثماني للجزائر ، وذلك في جويلية 1816م [6] أما أما عن عدد الوفيات فقد قدرها بوحجر بحوالي 20ألف[7].

أمام وجود بيئة غير سليمة مليئة بالأمراض والأوبئة التي تسببت في وفاة عدد من السكان، وعليه فإن الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا الباب هي أين نصيب السكان من الرعاية الصحية ؟ إذا كان نظام الحجر الصحي مطبق في أوربا فهل كان مطبقا فعلا في الجزائر؟.

إذا كان الحكام قد أولوا الاهتمام بالجانب الاجتماعي للسكان في أوقات الكوارث الطبيعية بتوفير لهم المأوى والتكفل بهم ،فإن الجانب الصحي للسكان لم يول له أي اهتمام[8]مما

---

[1]- نقلا عن غطاس: أضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني...: مرجع سابق، ص365.

[2]- ظهور الطاعون مرتبط بحدوث الزلزال والمجاعة واجتياح الجراد، أنظر: قشاعي، مرجع سابق، ص89.

[3]- غطاس: أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني ...، مرجع سابق، ص366

[4]- بوحجر، مرجع سابق، ص47.

[5]- حيث يؤكد شريف الزهار أن سنة 1823 م هي السنة الفعلية للانقطاع الوباء في الجزائر أنظر : الزهار، مرجع سابق ،ص185.

[6]- غطاس: أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني ...، مرجع سابق، ص366.

[7]- بوحجر: مرجع سابق، ص54.

[8]- هذا ما ذهب إليه سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص168.

جعل السكان يلجؤون إلى الطب التقليدي الذي يستلزم الأعشاب وبعض المواد الأخرى في حين يؤكد بفايفر أن أحسن دواء وجد عندهم هو الدواء المستعمل ضد لسعات العقارب والأفاعي، بالإضافة إلى استعمالهم الأحجبة والتمائم والسحر والمشعوذين[1].

أما في أوقات الأوبئة (كالطاعون) فيعتبرها السكان غضب من الله وابتلاء منه ، أو قدر الله الذي لا مفر منه ، ولذلك فهم يرفضون العلاج وقولهم بأن الحذر لا يمنع القدر، وهذا ما يؤكده حمدان خوجة في قوله : " كما أن الكثير من المصابين رفضوا العلاج معتقدين أنه قدر الله لا يقوى طبيب على علاجه ..." [2]

غير أن هذا لم يمنع بعض الحكام وأعضاء الديوان من اتخاذ الأطباء من الأسرى الأوروبيين ، ففي سنة 1830م لم يكن في مدينة الجزائر سوى الطبيب سيمون بفايفر[3] وهذا وهذا ما يؤكده في م ذكراته فقال: "عندما وصل الجنرال إلى المستشفى، توقف لحظة ليتأمل بنايته فمضيت إليه وأخبرته بأنها كانت في السابق ثكنة للانكشاريين وهي الآن مقام لما يقرب من ألف جريح فنظر إليَ بدهشة،وازدادت دهشته حين قلت له بأنني ألماني وأني الطبيب الوحيد في المستشفى"[4].

---

[1]– سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، مرجع سابق، ص168.

[2]– نقلا عن فتيحة صحراوي : الجزائر في عهد الداي حسين 1818– 1830، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ،2010–2011، ص115.

[3]– هو جورج سيمون فريدريك بفايفر من مواليد1806 بألماني، أسر في أورله العثمانية، ثم تم إرساله إلى الجزائر سنة 1825م و أصبح يعمل طاهيا بقصر الخزناجي، ليصبح بعد ذلك طبيب خ اص للخزناجي أفندي. لتفاصيل أنظر: بفايفر، مرجع سابق ، ص7 وما يليها.

[4]– بفايفر :نفسه، ص99.

وعن مدى التزام وتطبيق الحكام للحجر الصحي[1] تقول الباحثة عائشة غطاس "لم يكن نظام الحجر الصحي قاعدة صحية أو وسيلة وقائية ثابتة التزم بها الحكام طيلة العهد العثماني بل توقف الأمر على مدى وعي كل حاكم بخطورة الكارثة وما ينجم عنها من عواقب وخيمة على البلاد والعباد "[2] ، في حين يرى الأستاذ سعد الله أنه إذا كانت هناك وسيلة وقائية اتخذها الحكام فهي الحجر الصحي بمنع دخول أية سفينة الميناء إلا بعد فترة محدودة [3]لكن في بعض الأحيان نرى تدخل الأجانب في توجيه قرار الحكام، وهذا ما نستشفه من اقتراح القنصل الأمريكي وليام شالر للداي حسين باشا بعدم القيام بتفتيش السفن الأمريكية مبررا ذلك [4]بقوله:"...أن النتائج التي ترتب عليها فرض الحجر الصحي على السفن التي يزورها القراصنة، باهظة التكاليف أنه لا يمكن تحمل ذلك بصبر"([5])

3-الأدوار الاجتماعية للمرأة :

لعل ما يواجهه الباحث في موضوع المرأة هو شح المعلومات عن أوضاع ها، وعن الأدوار التي كانت تقوم بها وإن وجدت فهي تتناول الموضوع بسطحية يمكن لأي باحث ملاحظتها. وعليه فإذا كان البعض يرى أن دورها ثانوي بعد الرجل الذي بريره الأستاذ الزبيري بقوله:"بأن المرأة لا تستطيع الحصول على قوتها إلا بمساعدة الرجل "[6]، فإن الأستاذ سعد لله يذهب

---

[1]- أو الكرنتينة وهي إقامة إجبارية في معزل لمدة أربعين يوما عند الثغور لكل وارد أجنبي بسلعة سواءا كان مريضا مرضا معديا أو مشكوك فيه حمدان بن عثمان خوجة: إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء ، تح، محمد بن عبد الكريم، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص45

[2]- غطاس: أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني... ، مرجع سابق، ص ص 368-369.

[3]- سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، مرجع سابق ، ص ص 167- 168.

[4] -شالر: مرجع سابق، ص176.

[5]- نفسه: ص 177.

[6]- الزبيري : مرجع سابق، ص 47.

عكس ذلك وينفي أن يكون المجتمع الجزائري هو مجتمع الرجل ذلك أن المرأة لعبت فيه دورا أساسيا في مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية الثقافية وحتى السياسية [1].

لقد كان هناك اختلاف بين أدوار المرأة الريفية والمدنية، فالمرأة الريفية بالإضافة إلى مهمتها الأساسية متمثلة في الاعتناء بمنزلها ، فإنها كانت تقوم بأعمال أخرى خارج منزلها من جلب المياه وتقديم العلف للحيوانات [2].إلى جانب ذلك كانت المرأة الريفية تمارس صناعة النسيج[3] وهذا ما أكده بفايفو بقوله: "من الواجب عليها [عليهن] أن ينسجن طيلة العام كله أغطية وبرانس صوفية أبسطة جميلة "[4] فهي تساهم في إعالة الأسرة لأن الفائض من تلك الصناعة يوجه للسوق ليباع الرجل يتولى هذه المهمة ويتوصل إلى جمع مبالغ مالية معتبرة[5].

على غرار نساء الأرياف، فإن المرأة المدنية كانت لها عدة أدوار اجتماعية فكانت تقوم بالنشاط الحرفي الذي كان يقتصر على مجال الخدمات خارج البيت كالدلالة...[6].

ومن ناحية أخرى كانت المرأة مشاركة في الحياة السياسية، بطريقة غير مباشرة في توجيه القرارات السياسية، وهذا ما يؤكده العنتري"وكان عبد الله باي [7] صاحب حرب و إقدام، إلا أن امرأته [الدايكرا بنت حسن باي] تشاركه في الأحكام"[1]

---

[1]– سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 162.

[2]– نفسه: ص162.

[3]– نور الدين: مرجع سابق، ص281.

[4]– بفايفر: مرجع سابق، ص140.

[5]– نفسه: ص 140.

[6]– عائشة غطاس : الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700– 1830 مقاربة اجتماعية، اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر،2007، ص 254.

وتضيف الباحثة عائشة غطاس لكون تلك المهن اقتصر العمل بها من قبل النساء الفقيرات والمعتقات (الإماء). لتفاصيل أكثر أنظر: غطاس، نفسه، ص255 وما يليها.

[7]– عبد الله: باي على بايليك قسنطينة خلال الفترة الممتدة من 1806م إلى 1816م. العنتري: تاريخ قسنطينة ، مرجع سابق، ص72.

كان لها دور في توطيد العلاقات من خلال الزواج السياسي"الذي كان يتم بين زعماء الترك و الكراغلة وزعماء الجزائريين فقد تزوج أحمد القلي باي قسنطينة من أسرة بوعكاز (شيخ العرب)، وكذلك الحاج أحمد باي قسنطينة الذي تزوج من أسرة المقراني"[2]

المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني.

جاء تعريف الثقافة في لسان العرب في المجلد العاشر: "يقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم". أما القواميس الحديثة فنقول بأن: " ثقف ثقافة، صار حاذقا خفيفا، وثقف الكلام فهمه بسرعة"[3].

أما تعريف تايلور فيقول:" أن الثقافة أو الحضارة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون، والقانون والأخلاق والعادات والعرف، وكافة القدرات والأشياء الأخرى التي تؤدي من جانب الإنسا ن باعتباره عضوا في المجتمع" [4]. فمن خلال هذه التعريفات فإن الثقافة هي كل ما يصدر عن الإنسان سواء كان ماديا أو لا ماديا (عادات وتقاليد، موسيقى، رقص، ألعاب، أمثال وأغاني شعبية بالإضافة إلى الإنتاج الفكري والأدبي)، ارتبط الوضع الثقافي في الجزائر أواخر العهد العثماني بالمهام التي كانت جماعة الفقهاء في المدن وشيوخ الزوايا في الريف يقومون بها، من خلال عملهم على تأطير الحياة الثقافية، وتوليهم المهام الدينية والعلمية[5].

---

[1]– العنتري : تاريخ قسنطينة، مرجع سابق، ص73.

[2]– سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 164.

[3]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر، عبد الصبور شاهين، ط 4، دار الفكر المعاصر، 1984، ص 19.

[4]– محمد عباس إبراهيم، الثقافة الشعبة الثبات والتغير، دار المعرفة الجامعية، د ب ن، 2013، ص 19.

3– سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق،ص123.

1-التعليم في الجزائر ومراحله أواخر العهد العثماني

قبل التطرق إلى التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني لابد من الإشارة إلى الدور الذي لعبته المؤسسات الثقافية (مساجد، زوايا، كتاتيب، رباطات)في نشر الثقافة العربية الإسلامية بالرغم من عدم دعم الدولة العثمانية لهذا المجال، وأكبر مؤسسة كانت تدعم التعليم هي

الأوقاف وخاصة مؤسسة سبل الخيرات [1]، وهي جزء من الأوقاف التي كانت تهتم بالعلم والعلماء والطلبة المعوزين.

إن العديد من الكتابات الأجنبية سواء كانت لرحالة أجانب زاروا الجزائر أو للذين عايشوا الحملة الفرنسية على الجزائر في 1830م يؤكدون بأن التعليم كان منتشرا بشكل كبير في الجزائر قبل الاحتلال، فيذكر وليام شالر بأن الجزائر تملك الكثير من المدارس العادية التي يتردد عليها الأطفال ابتداء من سن الخامسة والسادسة فصاعدا[2].

و الهدف من التعليم في تلك الفترة لم يكن من أجل تكوين نخب علمية أو ثقافية، وإنما في الغالب كان من أجل تعلم قراءة القرآن وحفظه وفي أحيان أخرى بهدف الحصول على وظيفة، وهناك من كانت تدفعه تقاليده العائلية إلى طلب العلم، بحيث أنه إذا كان الوالد من العلماء فإن ابنه سوف يقلده وبالتالي يصبح التعليم وراثة خاصة وأن المتعلم بعد تحصيله للعلم لا يجد ما يفعل به، إلا في بعض الأحيان فإنه يتولى منصب الإمامة أو الخطابة أو التدريس في أحد المساجد أو الزوايا.[3]

---

[1]- هي من أشهر مؤسسات الوقف الجماعية، وهي شبه رسمية تشرف على جمع الأوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي، أسسها شعبان خوجة باشا سنة 999هـ - 1599م، تشرف على إدارتها جماعة يعينهم الباشا. للمزيد أنظر سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن (16-20م) ج 1، ش و ن ت، الجزائر 1981.ص 234.

[2]- شالر، مرجع سابق، ص82.

[3]- سعد الله، مرجع سابق، ص 362.

إلا أنه ظهرت في الجزائر بعض النخب العلمية خاصة التي واصلت تعليمها خارج الجزائر ونذكر على سبيل المثال" أبو رأس محمد الناصري المعسكري" الذي كان يتولى الفتوى والقضاء في معسكر ونظرا للوشاية التي تعرض لها سافر إلى المغرب الأقصى، ثم توجه إلى تونس ثم مصر وهناك اكتسب العلم والمعرفة من علماء هذه الأقطار، ثم عاد إلى مسقط رأسه بمعسكر فكان بحق مكتبة بحد ذاته نفع بلده.[1].

التعليم في هذه الفترة كان يرتكز على مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى:كان التعليم فيها يلقن في بعض المساجد و الزوايا هذا بخصوص الأطفال الذكور أما بالنسبة للإناث فليس لهن نصيب من التعليم إلا بعض العائلات الغنية التي كانت تجلب معلما أو مؤدبا معروفا بعلمه أو صلاحه لتعليم بناته م وتحفيظهم القرآن الكريم[2]، فالهدف الأول و الأساسي في هذه المرحلة هو تعلم كتابة الحروف و قراءتها وحفظ القرآن الكريم[3]، أما المرحلة الثانية فكان التعليم يلقن فيها في الزوايا والجوامع الكبرى فنذكر من المدارس والزوايا التي اشتهرت بها مدينة الجزائر ولعبت دورا فعالا في أداء الوظيفة التعليمية والدينية: (الجامع الكبير، وزوايا الأندلس) أما في مدينة قسنطينة وتلمسان نجد: (مدرسة الجامع الأعظم)، بالإضافة إلى الزوايا الكبرى بالريف وفي طليعتها زاوية بلاد القبائل[4] أما عن مواد التعليم في هذه المرحلة تشمل بالإضافة للقرآن الكريم الأصول و البيان والمنطق والحديث والسير والتصوف[5] .

2-الإنتاج الفكري والموروث الأدبي في الجزائر أواخر العد العثماني.

---

[1]- محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر أو الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، المجلد 02، دار البصائر، الجزائر، 2011، ص 125.

[2] - أبوالقاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، دار رائد، الجزائر2009،ص 161 .

[3]- الزهار، مرجع سابق ، ص 84 .

[4]- سعيدوني، تاريخ الجزائر في العصر العثماني ، ط 2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 142.

[5]- عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص 32.

-**الإنتاج الفكري:** لم تشهد الحياة الفكرية والأدبية أواخر العهد العثماني أي تجديد فقد بقيت الأمور على ما كانت عليه من قبل، بحيث كان الإنتاج الفكري شحيح إذ ما قورن بما أنتجته الفترة السابقة من العهد الإسلامي، فقد انحصر هذا الإنتاج في بعض التفاسير والشروح و الحواشي الفقهية والعقائدية،أما فيما يخص الأدب والشعر وفنونها فقد تمثل في المدائح النبوية والمقطوعات الصوفية وبعض الأشعار الغزلية والنثرية.[1]

فسر الرحالة الانجليزي "شاوSHAW" الذي زار الجزائر وأقام فيها مدة من الزمن أن سبب هذا الانحطاط الفكري يعود إلى طبيعة النظام الاستبدادي والفوضى السياسية، وهذا حسب رأيه ما ينتفي مع انتشار العلوم التي تتطلب الاستقرار السياسي والحرية الفكرية[2]،وعلى الرغم من ذلك وجد بعض العلماء الذين ساهموا في إحياء الثقافة الجزائرية أواخر العهد العثماني حتى وإن كانت إسهاماتهم تتميز بنوع من التقليد ونذكر بعض من هؤلاء العلماء:

* **أحمد بن محمد بن هطال التلمساني** : توفي في 1219هـ /1804م، له كتابين : تقييد رحلة محمد الكبير على شلالة والأغواط، حيث فيه وصفاً دقيقاً للأقاليم النائية بالجنوب الوهراني.

* **حسين بن أحمد خوجة بن الشريف** : توفي بعد 1220هـ /1805م له كتاب صاحب دار الأعيان في أخبار مدينة وهران.[3]

* **محمد بن أحمد بن أبي رأس الناصري** : توفي حوالي 1238هـ /1823م[4] شريف النسب من سلالة المولى إدريس ولد ببلدة معسكر،تولى في بداية حياته القضاء والإفتاء [1]،له العديد

---

[1]– غالي العربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد، طخ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007، ص ص 50– 51.

[2]– نفسه ، ص 51.

[3]–سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص 131.

[4]– سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لولايات الغرب العثماني (الجزائر، تونس، طرابلس، المغرب)، من القرن (10 إلى 14 هـ / 16 إلى 19م)، قسم التاريخ، جامعة الكويت، 2010، ص 78.

العديد من المؤلفات نذكر على سبيل المثال منها: (فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته)(عجائب الأسفار ولطائف الأخبار)،(دار الشقاوة في فتنة درقاوة)، (الدرة الأنيقة)[2]،(رحلتي في تعداد رحلة).بالرغم من ثقافة أبي رأس الناصري كما قال عنه الأستاذ أبو القاسم سعد الله ثقافة عامة غير مركزة فإنه استطاع أن يكتب أكثر من غيره من العلماء الذين عاصرهم بحيث أنه ألف في كل فرع من فروع العلوم والمعرفة"[3]

* **عبد الرحمن باش تارزي** : توفي في سنة 1222هـ 1807م، ينتمي إلى عائلة باش تارزي الجزائرية، استقر بمدينة قسنطينة، جمع بين العلم والتصوف من أهم مؤلفاته: غنية المريد في شرح منظومة مسائل التوحيد، وهي تضم 45 مسألة [4] .

***عبد العزيز الثميني**: توفي بعد 1223هـ/1808م، له كتاب: النيل وشفاء العليل في فقه الإباضية[5].

إن العديد من المؤرخين يحكمون على الحياة الثقافية في العهد العثماني أنها فقيرة وتتميز بنوع من الركود نظرا للتقليد الذي كان سائدا،ولدراسة العلماء للعلوم الشرعية والأدب وابتعادهم عن الطب والفلك والحساب الذي كان يدرس من أجل التجارة ومعرفة الفرائض الدينية، ولكن هذا لا ينفي مساهمة هؤلاء العلماء في إثراء الحياة الثقافية .

– **الموروث الأدبي والفني: راج** في الجزائر أواخر العهد العثماني الشعر، وتعددت المواضيع التي قيل فيها بالإضافة إلى تعدد الأسباب التي تركت الشعراء يقومون بالكتابة. إن المجتمع في تلك الفترة كان معرضا للعديد من التأثيرات سوءا كانت أوروبية أو إسلامية وخاصة في المدن، بحيث ظهر الفساد الأخلاقي و انتشر شرب الدخان (السبسي) كل هذه

---

[1]– سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص 377.

[2]– سعيدوني، مرجع سابق، ص 94.

[3] –سعد لله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص 379 .

[4]– الزهار، مرجع سابق، ص 94.

[5]– سعيدوني ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية ، مرجع سابق ، ص 76.

الظروف دفعت الشعراء إلى نضم الشعر في مختلف أغراضه، فشاع الشعر الصوفي (الديني) والذي يعتبر في تلك الفترة الأكثر تداولا من حيث القصائد التي قيلت في هذا الغرض ولاسيما في مدح " الرسول صلى الله عليه وسلم" والتشوق إلى زيارة قبره، وإحياء مولده بالإضافة إلى مدح ورثاء الأولياء الصالحين [1]،كما ساد في الجزائر شعراء الإخوانيات: وهو الشعر الذي يشاطر فيه الشعراء بعضهم البعض في المناسبات، فيتبادلون المدح والهجاء، حتى الفخر والرثاء[2].

الشعر الشعبي أو الملحون: وقد انتشر هذا الشعر بكثرة وهذا للدلالة على ضعف الثقافة الأدبية في تلك الفترة، وربما السبب يعود إلى إبعاد اللغة العربية عن الإدارة مما أدى إلى غياب الشعر الفصيح.[3]

3-العادات والتقاليد ووسائل الترفيه والتسلية.

أ-العادات والتقاليد:

على الرغم من التحولات التي طرأت على المجتمع الجزائري إلا أنه بقي محافظا على عاداته وتقاليده، فعمل على إحيائها من خلال مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية.

إحياء المناسبات الدينية: وتمثلت في الاحتفال بشهر رمضان وعيد الفطر والأضحى، المولد النبوي الشريف فلكل مناسبة دينية طريقة في إحيائها والاحتفال بها، فالاحتفال بشهر رمضان يتم عن طريق ختم صحيح البخاري في المساجد بالإضافة إلى إضاءة المساجد بالشموع وفي هذا الشهر يسهر السكان خلافا لسائر الشهور التي جرت العادة فيها بأن لا يخرج أحد من منزله من غروب الشمس إلى شروقها [4] ، وبعد الانتهاء من شهر الصيام يأتي عيد الفطر

---

[1]- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص، ص 242، 250.

[2]- نفسه، ص 276.

[3]- نفسه، ص 311.

[4]- سعد الله، مرجع سابق، ص 155.

الذي يحضى باهتمام كبير من قبل المسلمين وتخضع احتفالاته لعادات متوارثة أبا عن جد فيذكر " وليام شالر" في مذكراته أن الاحتفال بعيد الفطر الذي يتوج شهر الصيام عند المسلمين، فيعد مناسبة جليلة تعلنها طلقات المدافع المدوية، ويطلق فيها المسلمون العنان للفرح والسرور [1]،تبدأ احتفالات عيد الفطر أو عيد الأضحى مباشرة بعد أن يقرر مفتي المدينة أن اليوم الجديد قد أشرق فجره فتنطلق نيران البنادق وتفتح أبواب قصر الداي لتقديم التهاني والاحتفال، ففي عيد أضحى يقدم الكسكس المطبوخ للحاضرين وتذبح الأضاحي. [2]

أما الاحتفال بمناسبة المولد النبوي الشريف فتتم من خلال إيقاد الشموع، والإنشاد والتزين والتطيب[3]. فلكل مناسبة دينية طريقة لإحيائها والاحتفال بها.

إحياء المناسبات الاجتماعية: وتمثلت في حفلات الخطبة والزواج والختان، وتوديع واستقبال الحجاج، حيث أنه في كل مناسبة تقام الولائم وتقدم المأكولات والحلويات فنذكر على سبيل المثال عادات وتقاليد الزواج في مدينة الجزائر فكان يتم التخطيط له وعقده بواسطة الأمهات أو عن طريق عجوز كبيرة في السن وذلك من خلال الزيارات المتبادلة في المنازل والحمامات العمومية التي يترددون عليها بكثرة [4].

كذلك يوجد عادات وتقاليد متعلقة بالمأكل والمشرب، وهي تدل على مدى ثقافة أي مجتمع ومن خلالها يمكن معرفة أسلوب و طريقة عيشه.

فيذكر وليام شالر:" بأن الخضر ولحم الضأن والدجاج والسمك والحليب والزبدة، وزيت الزيتون،والفواكه والخضروات والكسكسي تشكل الأغذية الرئيسية لسكان البربر... والجزائريين لا يستهلكون إلا قليلا من لحم البقر وقلما ما يذبحون عجلا" [5]، أما فيما يتعلق بالمشروبات،

---

[1]– شالر، مرجع سابق ، ص 67.

[2]– سبنسر، مرجع سابق، ص 120.

[3]– سعد الله، مرجع سابق، ص 154.

[4]–شالر، مرجع سابق، ص 87.

[5]– شالر، مرجع سابق، ص ص،87– 88.

فقد شاع شرب القهوة وارتشافها بين الجزائريين [1]، وكذلك يشير شالر في هذا الصدد فيقول بأن: " القهوة هي المشروب الترف لهذا الشعب الذي لا يتناول الخمور و لا يشرب سوى الماء القراح"[2].

***اللباس:** مهما كان نوع اللباس فإنه يعبر عن ثقافة المجتمعات، كما أن اللباس يختلف بين الأغنياء والفقراء وهذا ما وجد في الجزائر خلال العهد العثماني فلباس النساء الجزائريات يتكون من قميص صغير يصنع عند الطبقة الغنية من أرفع المواد وأفخرها، ثم سروال ينزل إلى العقبين وثوب من حرير ويكون مليئا بالتطريز، كما تلبس المرأة الجزائرية حذاء ولكنه بدون جوارب[3]، أما بالنسبة للنساء التركيات فإنهن يلبسن الغرملة بشكل واسع وهي لباس ذو الحزام والمفتوحة عند الصدر مع معطف بأكمام قصيرة معه إلى جانب ألبسة داخلية يلبسون السراويل المطلوقة عندما لا يكن في المنزل في حين خروجهن من البيوت في زيارات أو إلى أي مكان آخر فإنهن يلبسن ثوبا مزركشا من ثلاث طبقات طويلة تصل إلى الركبة، ويتجزأ من شاش مزركش عريض، وفوق الكل يأتي الحايك الأبيض ويتحجبن في عيونهن بقطعة قماش شفافة بيضاء.[4]

أما فيما يخص لباس الرجال الجزائريين فيتكون من عدة قطع بعضها بأكمام والبعض الآخر بدون أكمام مفتوحة في الصدر ومزينة بأزرار وزخارف، والسروال فضفاض وطويل وكثيرا ما يلبس الرجل حزاما يلفه عدة مرات حول وسطه، أما في الرأس فيلبس العمامة على غرار الرجل التركي ففي الغالب تكون ملابسه مزينة بحواشي من الفضة والحرير وفوق كل هذه الملابس يضع برنوسا. [5]

---

[1]– سعد الله، مرجع سابق، ص 156.

[2]– شالر، مرجع سابق، ص 88.

[3]– شالر، نفسه، ص 85.

[4]– سبنسر، مرجع سابق، ص 89.

[5]– شالر، مرجع سابق، ص 83.

ب-وسائل الترفيه والتسلية:

لقد تعددت وسائل الترفيه والتسلية في الجزائر أواخر العهد العثماني، بحيث لجأ الجزائريون إلى العديد من الوسائل للترفيه عن أنفسهم وفي بعض الأحيان لإيصال ما يختلج مشاعرهم ولدفع الضجر عن أنفسهم.

اشتهرت مدينة الجزائر بلعبة العصا وكانت خاصة بين الفرسان، بحيث يسيرون الواحد تلوى الآخر ويحملون العصا في أيديهم ثم يقومون برميها على بعضهم البعض والفائز في هذه اللعبة هو الذي يصيب صاحبه [1]، كما شاعت في مدينة الجزائر وخاصة في مدينة باب الواد منافسات لقريس Gures، وهي عبارة عن لعبة تجري بانتظام في أيام الجمعة بعد الانتهاء من الصلاة [2]،وانتشرت كذلك في مدينة الجزائر الألعاب البهلوانية [3]وهي ألعاب تشبه المصارعة وكانت تجري يوم الجمعة و عيد الأضحى على الخصوص، ولم تكن خاصة بالجزائريين فقط وإنما الأتراك كذلك كانوا يمارسونها[4].

كانت هناك حفلات تسلي الناس وتدفع عنهم الضجر وهي لعبة القراقوز(خيال الظل) وهي نوع من التشخيص المسرحي كانت محتوياتها تختلف من النكتة المفرطة في الضحك إلى الانتقاد السياسي اللاذع، وكان القيام بمثل هذه التسليات في البيوتات وأحيانا أخرى في المقاهي.[5]

أما فيما يخص التسليات اليومية فكانت تتمثل في الزيارات التي كانت تقوم بها العائلات فيما بينها، بالإضافة إلى حفلات الزواج التي كانت تقام ويجتمع فيها الجميع [6]، أما بالنسبة

---

[1]- سعد الله، مرجع سابق، ص 155.

[2]- نقلا عن سبنسر، مرجع سابق، ص، 124، 125.

[3]- نفسه، ص123.

[4]- سعد الله، مرجع سابق، ص 155.

[5]-سعد الله، مرجع سابق،ج ، ص 156.

[6]- سبنسر، مرجع سابق، ص 112.

للنساء فالوسيلة الوحيدة والأمثل للتسلية والترفيه عن أنفسهن هي الزيارات الأسبوعية للحمامات ، فيخضن في غمار الحديث عن الكثير من الأمور وخاصة فيما يتعلق بخطبة أي فتاة من الفتيات[1]، فكانت الحمامات تمثل لهم المركز الذي يلتقون فيه ويتبادلون أطراف الحديث.

واعتبر التلغيز(الألغاز) في تلك الفترة من وسائل الترفيه والتسلية، واستعمل عند الشعراء والفقهاء على سواء، وكان الملغز يقول اللغز فيعبر عنه ببيت أو أبيات من الشعر ويبعثها إلى زملائه، وحتى الإجابة على هذا اللغز ترد في شكل بيت أو أبيات من الشعر [2]، وكانت هناك حلقات إنشاد الشعر الشعبي للتسلية الناس ودفع الضجر عنهم فيقوم المداحون بقص سير الأخبار ومغامرات الأبطال والفرسان[3].

اعتبرت الموسيقى والغناء والرقص من وسائل الترفيه والتسلية عن النفوس، على الرغم من اختلاف وجهة نظر العلماء حولها فالمجتمع كان لا يتخلى عنها، فكانت هناك مناسبات تشيع فيها كحفلات الزواج والختان وحتى في المناسبات الدينية كانت تستعمل الموسيقى والغناء في المولد النبوي الشريف، وكذلك في تجمع ركب الحجاج وبمناسبة ليلة القدر.[4]

كانت الموسيقى الجزائرية متنوعة عسكرية تعكس طابعها العثماني بالإضافة إلى موسيقى أندلسية وهي موسيقى ذات طابع شعبي جاء بها المهاجرون الأندلسيون وامتزجت مع الموسيقى الجزائرية وكانت تسمع في المقاهي.[5]

إن الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني اتسمت بطابعها الديني التقليدي، و يظهر ذلك بشكل جلي في الجانب التعليمي من ناحية المواد التي كانت تدرس والعادات والتقاليد

---

[1]– شالر، مرجع سابق، ص 88.

[2]– سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص 286.

[3]– سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص 156.

[4]– سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص 440.

[5]– سبنسر، مرجع سابق، ص 121.

السائدة آنذاك بالرغم من ذلك لا يمكن إنكار دور هذه الثقافة في إحياء الروح العلمية وسط الجزائريين.

من خلال تطرقنا إلى الأوضاع الاجتماعية والثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني اتضح لنا بأنها كانت تعرف نوع من الاستقرار الاجتماعي في إطار الثقافة العربية الإسلامية، إلا أنها سرعانما تصبح تعيش واقع اجتماعي وثقافي جديد في ظل الاستعمار الفرنسي.

الفصل الأول:

التحولات الاجتماعية في الجزائر

(1830م- 1900م)

إذا كان المجتمع الجزائري في العهد العثماني يعيش في ظل نسق اجتماعي متناغم بالرغم من اختلاف تركيبته السكانية، فإن الوضع لم يستمر مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر خاصة بتواجد أشخاص مختلفين عنه في الدين والعادات والتقاليد وهذا ما سنتطرق له.

المبحث الأول:تداعيات الاحتلال الفرنسي على الأوضاع الاجتماعية للجزائريين

1-تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري

لقد أدركت فرنسا منذ الوهلة الأولى لاحتلالها الجزائر أن قوة هؤلاء السكان تكمن في وحدتهم وترابطهم فعملت جاهدة على تفكيك هذا التضامن من أجل تحقيق أهدافها الاستعمارية فلجأت إلى جملة من الأساليب والطرق.

بدأت عملية تفكيك المجتمع الجزائري بداية من عام 1830م،بحيث تم القضاء في البداية على فئتين اجتماعيتين هما:الأتراك والكراغلة[1] الذين كان لهما دور كبير في تنشيط مدينة الجزائر،فالأتراك كانوا الفئة المسيطرة على مقاليد الحكم في المدينة على غرار الكراغلة الذين تميزوا بالثراء ونظراً لذلك تخوفت فرنسا منهم وكانت حجتها في القضاء على هاتين الفئتين أنهما وقفا في وجه الحملة الفرنسية ورفضوا الوجود الفرنسي على أرض الجزائر فعملت على نفيهم[2]،إلا أن بعض الأتراك قد غادروا الجزائر بمحض إرادتهم نظراً لما تعرضوا له.[3]

غير أن فئة الأعيان لم تسلم ولا حتى أهل الحضر من التفكيك من خلال تهجيرهم ونفيهم وحتى الهجرة الإرادية ساهمت في تفكيك البنية الاجتماعية للجزائريين،بالإضافة إلى عملية التفقير التي تعرضوا لها من خلال مصادرة كل ممتلكاتهم وفرض الضرائب الباهظة

---

[1]- بوعزة بوضرساية :سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930وانعكاساتها على المغرب العربي،دار الحكمة،الجزائر، 2010،ص106.

[2] - مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، تر، حنيفي بن عيسى، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص 203 .

[3]-أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي ، ط1، لبنان، 1992،ج1، ص 20.

عليهم[1]،باعتبار أن معظمهم كانوا يمارسون التجارة و لما كانت هذه الضرائب مجحفة في حقهم اضطر العديد من الحرفيين إلى التخلي عن هذه الحرف وعن ممارسة التجارة و أغلقوا ورشاتهم بسبب إدخال السلع الأوروبية إلى الأسواق الجزائرية،بالإضافة إلى رؤيتهم لغياب مظاهر التنظيم داخل ورشاتهم وهذا ما جعل العديد منهم يتخلى عن حرفته ويغادر البلاد خاصة مع تدهور أوضاعهم المعيشية[2]، و كانت الغاية من كل الإجراءات التي اتخذت في حقهم هي العمل على إنهاء دورهم في المجتمع وإحلال العنصر الأوروبي محلهم وهذا ما عجل في اختفائهم تدريجيا، بحيث لم يبق منهم إلا عائلات قليلة العدد و لا تملك النفوذ على الرغم من أن الإدارة الاستعمارية كانت قد اعتمدت عليهم في البداية من أجل توسيع نفوذها وسيطرتها على الجزائر وبمجرد تحقيقها ما كانت تسعى إليه بدأت تستغني عنهم وتجردهم من نفوذهم بهدف القضاء عليهم[3].

لجأت السلطات الفرنسية إلى تقسيم الجزائر إلى ثلاث مقاطعات إقليم مدني، إقليم مختلط، إقليم عربي بغية تفكيك النسيج الاجتماعي للسكان، وخاصة بعد إنشاء المكاتب العربية والتي كانت الغاية منها مراقبة الجزائريين ومنع أي محاولة لتوحد السكان [4]،كما تعرضت الطبقة الاجتماعية السفلى هي الأخرى إلى التفكيك،خاصة وأن الحياة في الريف معروفة بالتنظيم القبلي [5] فلقد كانت القبيلة تشكل نسيجاً اجتماعياً متكاملاً يبدأ من شيخ القبيلة وينتهي بأخر فرد فيها، و ما كان يميزها هو سيطرة الطابع الروحي على سكانها الذين تعددت انتماءاتهم الروحية إلى الطرق الصوفية التي كانت منتشرة آنذاك علاوة على روابط

---

[1]– ليلى تيته :تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،الجزائر، ع 17، 2014 ، ص 141 .

[2]– أحمد مهساس:الحقائق الاستعمارية والمقاومة،دار المعرفة،الجزائر، 2007صص 116–117 .

[3]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900، دار الغرب الإسلامي،لبنان،2005،م ج 02، ص246.

[4]–جمال خرشي:الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830–1962،تر،عبد السلام عزيزي،دارالقصبة،الجزائر،2009، ص106.

[5]– بوضرساية:مرجع سابق،ص ص106–107.

المصاهرة التي كانت تجمعهم [1] ولما كانت الأرياف تعتبر مصدرا أساسيا لحياة الجزائريين أصبحت معرضة للنهب والسلب والتدمير، مما جعل الفلاحين الذين أصبحوا يعيشون ظروف جد قاسية يبيعون أراضيهم وكل ممتلكاتهم للمعمرين الجدد خاصة في فترة مابين 1830-1847م[2].

إن الأرض كانت تمثل مصدر رزق للفلاح الجزائري من خلال استغلاله لها في الزراعة وممارسة حرفة الرعي، وأن استغلال هذه الأراضي كان يرتكز على الصلة القائمة بين الزراعة ونوعية الأرض و حتى القبيلة، مما جعل السلطات الفرنسية تبحث عن سبيل لتفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع، لذلك ركزت كل اهتماماتها نحو المجتمع الريفي من أجل القضاء عليه[3]فكان الاستعمار يدرك جيدا أن القبيلة هي العائق الأساسي أمام تحقيق أهدافه التوسعية،بالإضافة إلى مشاهدته مدى تعاون وتماسك سكان القبيلة في الظروف الصعبة [4] ،ومن أجل تفكيك القبيلة تم إصدار العديد من القوانين العقارية نذكر منها القانون المشيخي في22أفريل 1863م "sénatus-consulte"[5]"الذي يعمل على تفكيك التنظيم الاجتماعي والاقتصادي للقبائل"[6] وذلك من خلال تحديد أراضي العرش ورسم حدودها وتقسيمها إلى دواوير(جمع دوار)[7]،ثم يتم توزيع الأراضي إلى ملكيات فردية بين سكان كل دوار فالهدف من كل هذا تفكيك ملكية العرش التي كانت تمثل لبنة المجتمع الريفي في وحدته وتماسكه ،

---

[1] – أحميدة عميراوي وأخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844- 1916،دار الهدى، الجزائر، ص 144.

[2]– بوضرساية: مرجع سابق، ص 106.

[3]–عده بن داهة:الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، وزارة المجاهدين، طخ، الجزائر 2008،ج02 ، ص ص 26-27.

[4]– الأشرف،مرجع سابق، ص 13.

[5]–Mahfoud Kaddach:L Algérie Des Algériens De La Préhistoire A 1954 ,Achevé D Imprimer Sur Les Presses Enag ,Algérie2009 ,P649

[6]–الجيلالي صاري: تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962، تر قندوز عباد فوزية،دار غرناطة ، طخ، الجزائر ، 2010، ص 39 .

[7]–يسمينه زمولي:الألقاب العائلية في الجزائر من خلال قانون الحالة المدنية أواخر القرن 19(1870-1900) قسنطينة نموذجا،دار البصائر،ط01،الجزائر، 2007، ص 21 .

وهكذا بدأت عملية تفتيت النظام القبلي للجزائريين تدريجيا ومما زاد من شقاء الجزائريين هو تشجيع ظاهرة الاستيطان على هذه الأراضي[1] وعلى إثر ذلك وجد المعمرون أنفسهم يملكون أخصب وأجود الأراضي الزراعية على حساب الجزائريين وهذا ما أدى إلى انهيار النظام القبلي،وبالتالي القضاء على كل التحالفات التي كانت تحصل بين القبائل والتي كانت الغاية منها استمرار المقاومة[2].

إن التفكيك الذي حصل في المجتمع الريفي على إثر قانون سيناتوس كونسيلت كانت أهدافه القضاء على حركات المقاومة التي كان يقوم بها سكان الريف، فبهذا القانون التعسفي عملت الإدارة الفرنسية على القضاء على كل علاقات التضامن والتكامل المعروفة عن المجتمع الريفي في الجزائر بالإضافة إلى إحداث تغيير في نمط ملكية الأرض وزراعتها.

فبتنفيذ القرار المشيخي 1863م أنشئ 656 دوارا في المقاطعات الجزائرية الثلاثة وهران،قسنطينة ،الجزائر و نذكر على سبيل المثال بعض القبائل التي تعرضت إلى التفكيك قبيلة عكرمة الغرابة التي قسمت إلى 16فصيلة في حين كانت من قبل تتشكل من ثلاثة، أقسام: القواليز، القرارية و قربوسة [3]، كما نتج عن هذا القانون تفتيت أراضي العرش ففي مقاطعة الجزائر مثلا فقدت فيها منطقة القبائل 900 .170هكتار من أراضيها أما إقليم وهران فقد تراجعت مساحة قبيلة بني عامر فيه مـــن 120.000هكتار إلى000 .80 هكتار[4].

---

[1]–محمد السويدي :مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص118 .

[2]–بن داهة:مرجع سابق، ص28 .

[3]– نفسه: ص30.

[4]– نجاة دهنون :التشريعات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها على المجتمع الجزائري،مذكرة مكمل لنيل شهادة الماستر تخصص حديث ومعاصر،قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، 2015–2016، ص47.

"إن القرار المشيخي 1863م يعتبر أخطر سلاح وجه لضرب البنية الاجتماعية للشعب الجزائري وأداة وضعها المستعمر للنهب الأراضي" [1]،فقد أدى تطبيق هذا القانون إلى إلغاء كيان القبيلة التي يقوم عليها النظام الاجتماعي بالجزائر [2] ولم تتوقف الإدارة عند هذا الحد في تفكيك المجتمع الريفي بل واصلت عملها في سن القوانين، ففي 20 ماي 1868م فتح الباب أمام نظام البلديات الذي يضم فيها الإقليم العسكري القسم الأكبر من الدوار والقبائل التي لم يتم تفكيكها بعد تطبيق القرار المشيخي، ومن خلال هذا القانون يتم تشكيل بلديات مختلطة من أجل تغيير النظام التقليدي للمجتمع الريفي الجزائري والهدف من ذلك هو جعل الجزائريين يخضعون بكل سهولة للنظام الاستعماري[3].ومن بين العوامل التي ساهمت كذلك في تفكيك البنية الاجتماعية في الجزائر هي ظهور منصب القايد الذي من خلاله ألغى دور الخليفة والباشا، وهذا ما دعا إليه الحاكم العام ماكماهون [4] في 14نوفمبر 1868م بحيث قال:"سنين لنا مع الوقت وإجراء التوسعات الممكنة وأنه بات من الضروري إلغاء وظائف الخليفة والباشا والأغا بحيث لا يبقى لهم دور في المجتمع ويعوضون بالقايد الذي يكون حلقة وصل لنا مع القبائل"[5].

كان الاستعمار الفرنسي يدرك جيدا بأن التضامن الاجتماعي الذي يتميز به السكان الجزائريون هو العائق الأساسي الذي يقف أمام تحقيق أهدافه التوسعية لهذا عمل جاهدا

3-بن داهة:مرجع سابق، ص33.

[2]- ناصر الدين سعيد وني: الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت،2000، ص 29 .

[3]- خرشي:مرجع سابق، ص231.

[4]- هو ا يدمي باتر يس د ي مكماهون، من أصول ايرلندية ولد في 21مارس 1808م و في عام 1825م التحق بمدرسة سان سير الحربية ، بحيث أصبح في عام 1830 م ضابط برتبة نقيب شارك في حصار الجزائر بالإضافة إلى مشاركته في الحملتين العسكريتين على مدينة قسنطينة . أنظر : غالي الغربي وآخرون ،العدوان الفرنسي على الجزائر-الخلفيات والأبعاد-،دار هومة، طخ، الجزائر،2007 ، ص 326 .

[5]-خرشي:مرجع سابق،ص232 .

على تفكيك هذا المجتمع، بداية من القضاء على البنية الاجتماعية في المدينة وصولا إلى الريف من خلال سن مجموعة من القوانين التعسفية.

ففي 26جويلية 1873م أصدرت فرنسا قانون وارني [1]–[2]أو كما يسميه الأستاذ صاري الجيلالي "بقانون التفكك الأسري"[3]، بحيث تضمن هذا القانون تفكيك الملكية الجماعية التي كانت للقبائل والأعراش لتحل محلها الملكية الفردية وكذلك العمل على إنجاح الاستيطان من خلال الاستيلاء على الأراضي على حساب السكان[4]والهدف من ذلك كله هو العمل على محو العشيرة التي تعتبر الركيزة الأساسية للمجتمع الجزائري وهذا ما أشار إليه "جيروم نابليون" وزير الجزائر والمستعمرات :"يقال أن العشيرة هي أساس النظام الاجتماعي للعرب يجب علينا كنظام فرنسي احتواء مختلف المجموعات الأهلية في بلدياتنا تسهيل التوجهات الطبيعية كما هي، بتواجد حضاراتنا الراقية،يجب على العشيرة أن تندمج في نظامنا وبهذه الوسائل وحدها نستطيع أن نصل إلى فصل تناسق العشيرة ونزع كل طابع سياسي منها وإخضاعها لنظامنا البلدي"[5]، لقد ساهم هذا القانون في إحداث العديد من التغيرات خاصة على نظام الألقاب العائلية التي فرضت بطريقة إجبارية على السكان فنذكر على سبيل المثال إحدى الدواوير بقسنطينة التي تحصل ملاك أراضيها على ألقاب تدل على صفات وعاهات جسمية فأعطي للطيب بن أحمد إحدى مالكي الأراضي بقسنطينة لقب بهلول

---

[1]– طبيب عسكري وعضو في اللجنة العلمية بالجزائر،ثم مدير الشؤون المدنية بوهران ثم عضو في مجلس الحكومة بالجزائر أعطى اسمه للقانون العقاري،والذي كان الهدف منه خوصصة الأراضي الجماعية التابعة للجزائريين أنظر : عبد الحميد زوز، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837–1939،دار هومة، الجزائر، 2009،ج01،ص311.

[2]– كمال كاتب:أوروبيون و أهالي ويهود بالجزائر1830–1962م تمثيل وحقائق السكان،تررمضان زيدي،دار المعرفة،طخ، الجزائر، 2011،ص116.

[3]– صاري: مرجع سابق، ص 67 .

[4] – الغربي: مرجع سابق، ص 206.

[5]– كاتب: مرجع سابق، ص 118.

وبلقاسم بن أحمد للقب الأكحل وعمار بن صالح لقب بوعين وكانت الغاية من منح هذه الألقاب هو تفكيك الملكية الجماعية للأراضي[1].

لقد كان قانون 1873م بداية لسن مشروع فرنسة نظام التسمية الجزائرية من خلال فرض ألقاب عائلية على السكان إلى جانب أسمائهم الشخصية بموجب قانون 23مارس 1882م والذي عرف بقانون الحالة المدنية و الذي يتكون من 23 مادة تتضمن تسجيل المواليد والوفيات وعقود الزواج [2]،إن سن فرنسا لهذا القانون كانت الغاية منه جعل الجزائريين على مقربة منها بالإضافة إلى إدماجهم في سياستها من خلال تفكيك التنظيم القبلي للمجتمع الجزائري عن طريق إذابة كل روابط الوحدة وتفكيك الملكية الجماعية للأراضي.

2_ تغييب الرموز والمرجعيات العلمية والدينية ومحاولات تنصير المجتمع

لما رأت فرنسا مدى تأثير الرموز والمرجعيات العلمية والدينية على المجتمع الجزائري عملت على تغييبهم من خلال إنهاء أدوارهم فأصبحوا مجرد صور لا حراك لهم في العهد الفرنسي سواء كانوا قضاة أو مفتيين أو مدرسين، أما من بقي منهم إما هاجروا وإما انتهت خدمتهم بتقدم السن، كما أن الاستيلاء على الأوقاف ومراقبة الزوايا والحروب الدائمة والهجرة لم تترك في الجزائر علماء يمكن الاعتماد عليهم في تسير الحياة الاجتماعية للسكان الجزائريين[3]فبهجرة معظم العلماء والفقهاء وتركهم لوظائفهم تشتت شمل التلاميذ الذين كانوا يدرسون على أيديهم واضطروا إلى السعي وراء طلب العلم خارج الجزائر [4] فأصبح المجتمع يعيش في فراغ "فلا فتوى بمعنى الكلمة ولكن أراء منقولة من كتب فقهية أخنى عليها الزمن

---

[1]–زمولي: مرجع سابق، ص 33.

[2]–نفسه: ص 37 ومايليها .

[3]–سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية،ج1، ص 370.

[4] – يحي بوعزيز : السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830– 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995، ص 160 .

ولم يعد عقل العلماء عندئذ قادراً على هضم ماجاء فيها كما أنه لا استقلال في الرأي ولا اجتهاد"[1].

إن تغيب هذه الرموز هو دفع الجزائريين للتيه بدون أي مرجعية دينية أو سياسية تجمع وترشد وتوحد.

أما الطرق الصوفية فقد كان لها نصيبها من السياسة الفرنسية كذلك نظراً لما كانت تقوم به من دور في تناسق المجتمع الجزائري من خلال تكفلها بالحالات الاجتماعية للسكان (اليتامى والأرامل الفقراء)، والدعوة للمقاومة باسم الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الوطن، لذلك عملت السلطات الفرنسية على محاولة تهميش هذه الفئة الاجتماعية وتشويه صورتها وظهر ذلك بداية من سنة 1871م عندما رأت أن هؤلاء الطرقيين أصبحوا يحلون محل زعماء العشائر نتيجة لضعف هؤلاء من جراء تطبيق قانون سيناتوس كونسيلت عليهم، ومن أجل إنهاء هذا الدور عمل الفرنسيون على استمالة بعض الطرقين بمنحهم لقب شيخ الإسلام الذي كانوا قد قضوا عليه في البدايات الأولى للاحتلال وكان هدفهم من إعادة بعث هذا اللقب هو جلب هؤلاء الطرقيين لخدمة مصالحهم فيصبحون محل اعتراف من قبل السكان فوافق العديد من شيوخ الزوايا التيجانية على هذا المنصب [2]. وعلى إثر ذلك تكون الإدارة الفرنسية حققت ما كانت تسعى إليه.

ولم تكتف الإدارة الفرنسية بمحاولة استمالة هؤلاء الطرقيين بمنحهم لقب شيخ الإسلام بل تعدى ذلك إلى تشجيع الزواج بين بعض المرابطين والفرنسيات فتزوج أحمد التيجاني من

---

[1]– سعد الله، الحركة الوطنية: ج1، مرجع سابق، ص 370.

[2]–أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830– 1954 ،دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، بيروت، 1998، ج 4 ، ص ص 309– 310 .

فرنسية اسمها أوريلي وكانت الغاية من ذلك تغيب دور هؤلاء الطرقين وجعلهم مشتتين يعملون تحت أنظار الفرنسيين[1].

لقد جاء في معاهدة الاستسلام التي وقعها الجنرال دي بورمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر مع الداي حسين في 5جويلية 1830م باحترام الدين الإسلامي ومؤسساته غير أن ذلك لم يكن إلا مجرد حبر على الورق فمباشرة بعد الاحتلال تم خرق هذه المعاهدة فهدمت المؤسسات الدينية وحولت إلى كنائس بالإضافة إلى تغييب العلماء والمرجعيات الدينية والغاية من كل ذلك هو محو الشخصية الجزائرية الإسلامية .

وعلى إثر ذلك ظهرت محاولة تنصير المجتمع و جذب العنصر الجزائري المسلم إلى النصرانية بهدف إخراجه عن واقعه الاجتماعي الأصيل المتشبع بالقيم الإسلامية[2] ومن أجل ذلك استخدمت العديد من الوسائل للنفاذ إلى الوسط الاجتماعي كالأعمال الخيرية والتعليم والعلاج بالإضافة إلى استغلالهم للكوارث الطبيعية التي كانت تصيب الجزائريين لخدمة أغراضهم التنصيرية[3]،كما نالت المرأة الجزائرية اهتماماً من قبل المنصريين لأنها في نظرهم هي من تسير الحياة الاجتماعية والوصول إليها هو وصول إلى الأسرة بكاملها [4]، لهذا ركز الكاردينال لافيجري[5] على تأسيس فرقة خاصة بالتبشير وسط العنصر النسوي سماها فرقة الأخوات البيض2 سبتمبر 1869م وكانت غايته من ذلك كما كان يقول بأن عند المسلمين

---

[1]–سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص 311.

[2]–سعيدي مزيان: النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867– 1892م،دار الشروق للنشر والتوزيع ،ط1، ، الجزائر، 2009، ص 335.

[3]–وعلي محمد الطاهر : التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب، الجزائر 2009، ص227.

[4]–خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر1830–1871، دحلب، 1977 ، ص 129.

[5]– هو شارل أندري مارسيل لافيجري ولد في 31أكتوبر 1825م بمدينة وير قرب بايون على سفوح جبال البريني، كان توجهه ديني منذ صباه التحق بمعهد الدعاية التبشيرية سانت لويس دو قوزاني، ثم المدرسة الإكلركية الصغرى للدراسات الأسقفية بلاروسور. أنظر: مزيان، مرجع سابق، ص ص 31 –33.

لا توجد سوى المرأة التي يمكن أن تجابه المرأة وتوصل إليها تعاليم المسيحية وأنوارها الحضارية[1].

إن الهدف الذي كان يسعي من ورائه المبشر ون من خلال محاولاتهم لتنصير المجتمع الجزائري هو "إحداث درجة من التحول عند الجزائريين، وجعلهم قابلين للاستجابة لنداء المسيحية ... وهذا التحول الذي يسعون إليه يتمثل في نبذ اللغة العربية والدين الإسلامي، وتعويضه باللغة الفرنسية والديانة المسيحية" [2]. إن تنصير بعض الجزائريين وأعدادهم قليلة لم تكن بقناعة ولكن تحت تأثير الظروف المعيشية المزرية والأوضاع الصحية المتدهورة.

3-انتشار الفقر وتدهور الحالة الصحية للسكان

يعتبر الفقر من أهم المشاكل التي أصابت الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، فهو يدل على وجود ظروف معيشية مزرية لفئات اجتماعية لم يعد بمقدورها توفير الغذاء واللباس [3]والسكن، وحتى أدنى الاحتياجات الأخرى مثل الرعاية الصحية وهذا ما عانت منه الجزائر في تلك الفترة بسبب السياسة الفرنسية التي عملت جاهدة على إفقار السكان بكل الوسائل من خلال مصادرة أملاكهم بداية من صدور مرسوم 08سبتمبر 1830م الذي يعتبر البداية الأولى لظهور حالات الفقر وسط السكان،نظرا لما كانت تقدمه هذه الأملاك من دعم في المجال التعليمي والاجتماعي الذي اعتبرت ممتلكات الحبوس من الركائز الأساسية في دعم الفقراء والمساكين [4]، إلا أن الاستعمار الفرنسي عمل على مصادرة كل ممتلكات سكان الأرياف بالإضافة إلى حجز ممتلكات البايلك والأوقاف بموجب هذا المرسوم[5].

---

[1]- مزيان: مرجع سابق، ص 85.

[2]-وعلي: مرجع سابق، ص ص 227-228.

[4]- صاري: مرجع سابق، ص ص 12،15 .

[5]-Djilali Sari: L'insurrection De 1871tous Droits De Reproduction D Adaptation Et De Traduction A Ssures Pour Tous Les Pays ,S. N. E , Alger 1972 ,P 8.

لقد عملت السلطات الفرنسية على فرض الضرائب المجحفة التي أثقلت كاهل الجزائريين،فلم يعد باستطاعتهم الدفع ولا حتى توفير لقمة العيش [1]خاصة مع تحول دفع هذه الضرائب نقدا بداية من عام 1845م، مما جعل الفلاح الجزائري يبيع منتجاته الفلاحية بأسعار جد منخفضة من أجل دفع تلك الضرائب والتخلص من العقاب الفرنسي [2]، لكن لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد أمر الجنرال الفرنسي كلوزيل بتهديم العديد من المحلات،و الأسواق التي تعتبر مصدر دخل رئيسي للسكان ونذكر أهم المحلات والأسواق التي تعرضت للهدم محل القيصرية الذي كان يشرف على بيع الكتب،كما تم تهديم العديد من الأسواق مثل سوق المقاييس الذي كان يصنع فيه الأساور والتي تعتبر جزء من الصناعة في مدينة الجزائر والتي كان يشتغل فيها العديد من الجزائريين،وعلى إثر ذلك أصبح العمال بدون عمل مما جعلهم يمارسون التسول بالإضافة إلى تعرض العديد من الصناعات الأخرى إلى التهديم [3]. كما تعرضت طبقة التجار التي كانت أكثر فئات السكان عددا إلى النفي والإبعاد مما أدى إلى تراجع حركة التجارة ونقصان حركة البيع والشراء في المدينة وغلاء المعيشة[4].

إن إبعاد الجزائريين عن المناصب الحكومية والإدارية التي كانوا يشغلونها أوجدت العديد من العمال العاطلين عن عمل يعيشون ظروف اجتماعية مزرية فلم يعد بمقدورهم توفير حتى لقمة العيش[5]، بالإضافة إلى عمليات مصادرة الأراضي الخصبة و الصالحة للزراعة التي ساهمت في انتشار الفقر نظرا لتراجع إنتاج الحبوب ب 20% وفي نفس الوقت تزايد عدد السكان الجزائريين[6]، فلاستيلاء على الممتلكات واستمرار نهب الأراضي وتدمير المحاصيل

---

[1]- بوعزيز: مرجع سابق ، ص 38 .

[2]- الجيلالي صاري:الكارثة الديمغرافية 1867م-1868م، تر عمر المعراجي، منشورات ANEP، طخ،الجزائر، 2008، ص 290.

[3]- خوجة:المرآة،مرجع سابق، ص 145 .

[4]- الأشرف: مرجع سابق ، ص203.

[5]- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، 2001، ص ص 131- 132.

[6]- بن داهة: مرجع سابق، ص14.

المحاصيل الزراعية سنوات 1845م، 1846م،1847ممن طرف الجراد الذي هجم على محاصيل الفلاحين الجزائريين [1]فأكل الزرع مما أدى إلى ارتفاع سعره على إثر ذلك[2]بالإضافة إلى تدهور الاقتصاد الذي نتج عنه تراجع في المستوى المعيشي بحيث أصبح عدد كبير من العرب لا يعيشون إلا على عشب الوحل وأوراق الأشجار [3].

ومما يدل على انتشار الفقر كذلك تكاثر الأكواخ المبنية من الأغصان والأحجار والطوب والمغطاة بالقصب والديس فأصبح أكثر من نصف مليون جزائري يسكنون الأكواخ والتي كانت تضم مابين 05 و10أشخاص في كل خيمة وأصبحوا في حالة اجتماعية جد مزرية حيث لا غذاء كاف ولا عمل يوفر لهم لقمة العيش ولا حتى عناية صحية [4]، ومما زاد من تدهور الحالة لاجتماعية للجزائريين هي حدوث مجاعة في سنوات 1866م،1867م،و1868م والتي كان لها الأثر الكبير على السكان وخاصة القسنطينيين الذين تضرروا منها كثيرا بحيث يصفها صالح العنتري فيقول :"ولا يشك أحد في أنها مجاعة شديدة أشرف الناس فيها على الهلاك الأليم والبلاء العظيم بحيث لم يسمع في الزمان السابق بمثلها قط... فإن الجل الكثير من أولئك المصابين صاروا يقتاتون مالا يباح اقتياته، فتراهم يزدحمون على هر ودم وميتته وغير ذلك من الأمور المحرمة شرعا"[5].

وترجع أسباب هذه المجاعات إلى الكوارث الطبيعية التي حلت بالبلاد بداية من هجوم الجراد في عام 1864م والذي زادت حدته في مطلع عام 1866م الذي دعي بعام الجراد فأفسد كل ما وجده من خضر وثمار ففقد الناس إنتاجهم[6]،بحيث أصبحت حقول القمح والشعير خالية،

---

[1]–Kaddach:Op. Cit , P 655.

[2]– صالح العنتري: مجاعات قسنطينة ، تح، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر،1974 ، ص 51 .

[3]–Kaddach: OP. CIT , P 657

[4]– بوعزيز: مرجع سابق، ص52.

[5]– العنتري: مجاعات قسنطينة،مرجع سابق، ص ص 54 – 55 .

[6]– يحي بوعزيز : كفاح الجزائر من خلال الوثائق،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طخ، الجزائر ،2009، ص ص147 _ 148 .

خالية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ففي عام 1867م تعرضت الجزائر إلى جفاف هذا ما أدى إلى جعل السكان يعيشون حالات من الفقر والتسول[1].

كل هذه الظروف أدت إلى تدهور الحالة الصحية للسكان، فكثرت الأمراض والأوبئة المعدية فظهر مرض الكوليرا أو الريح الأصفر أو ما يطلق عليه كذلك اسم واف [2] في عام 1866م وزاد خطره في عام 1867م فانتشر في البلاد عن طريق المسافرين الذين جاؤوا من الخارج فتضرر منه الجزائريون لعدم توفر وسائل الوقاية الصحية لديهم[3]،ومع انتشار الكوليرا ظهر وباء التيفوس وهو من الأمراض المعدية ظهر نتيجة نقص التغذية التي عرفتها الجزائر في فترة المجاعة (1866م-1867م)[4]، ومع انتشار هذين المرضين مات العديد من الجزائريين الجزائريين مما جعل السلطات الفرنسية تأمر بحفر العديد من الخنادق لدفن الموتى[5] .

3- تغير التركيبة السكانية واختلال التوازن السكاني للمجتمع الجزائري:

لقد عملت السلطات الفرنسية على سن جملة من القوانين التعسفية والتي كانت الغاية منها العمل على تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وهذا ما تطرقنا له سابقا لصالح فئة جديدة ساهمت في تغيير التركيبة السكانية للجزائريين والتي تمثلت في فئة المعمرين من خلال تشجيع عملية الاستيطان على الأراضي الجزائرية.

حيث أنه بعد احتلال المدن الجزائرية الواحدة تلوى الأخرى بدأ عدد السكان يتناقص تدريجيا بسبب المقاومات التي كانوا يقومون بها بالإضافة إلى عمليات الإبادة والتهجير التي كانوا

---

[1]- بقطاش: مرجع سابق، ص105.

[2]- محمد العربي الزبيري : مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة وبضربة، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ،ط2،الجزائر، 1981،ص 39 .

[3]- بوعزيز: كفاح الجزائر، مرجع سابق، ص 149.

[4]- صاري: الكارثة الد يمغرافية ، مرجع سابق ، ص 195 .

[5]-يحي بوعزيز : المجاعة بالجزائر أواخر الستينات من القرن 19 ومواقف وأراء الجزائريين من ادعاءات الفرنسيين حول أسبابها ، مجلة الأصالة ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، تلمسان،ع 33 ، 2011 ، ص 9 .

يتعرضون لها فنذكر على سبيل المثال مدينة الجزائر التي كان عدد سكانها في 1830م 40 ألف نسمة فتراجع خلال فترة ثلاث سنوات إلى 21 ألف نسمة بحيث فقدت هذه المدينة العديد من سكان الحضر والذين عوضوا بسرعة بالعديد من المهاجرين الأوروبيين [1] والذين تمثلوا في الفرنسيين و اليهود والإيطاليين والمالطيين والبر وسين والاسبانيين وغيرهم[2] .

فكانت البداية بجلب عدد كبير من الفرنسيين الذين كان عددهم في عام 1833م 3478 فرنسي ليصل في سنة 1847م إلى 47274 فرنسي بحيث كان عددهم في تزايد مستمر نظراً للإغراءات التي كانت تقدمها لهم الإدارة الفرنسية من خلال منحهم أرقى المنازل وأجود الأراضي الفلاحية التي كانت ملك للجزائريين[3]، وقد ساهم كذلك الخطاب الذي ألقاه الجنرال بيجو في 14جانفي 1840م في ازدياد عدد الفرنسيين والأوربيين حيث قال:"إننا في حاجة إلى أكبر عدد ممكن من المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين في الجزائر ولكي تجلبوهم فلا بد أن تعطوهم أخصب الأراضي، أينما وجدتم مياه تدفقه، وأراضي خصبة ومراعي جديدة أنزلوا بها المستوطنين غير مبالين بأصحابها يجب توزيع هذه الأراضي على الأوروبيين حتى يصبحوا أربابها ويصير أربابها الأولون نسيا منسيا" [4]وأمام هذه الإغراءات والتسهيلات ازداد عدد الفرنسيين ليصل في عام 1866م إلى 122119شخص موزعين في مدينة الجزائر[5]،ففي مقابل تزايد عدد الأوروبيين كان عدد السكان الجزائريين في تناقص مستمر حيث وصل عدد سكان الحضر في سنة 1886م إلى 8%[6].

---

[1]– كاتب: مرجع سابق ، ص ص 110 –111 .

[2]–Julien Charles André: Histoire De LAlgérie Contemporaine La Conquête Et Les De Buts Delà Colonisation (1827 1871), Cat Ouvrage A Eté Réalise Alise Casbah Editions, Algérie 2005,P 158.

[3]– بن داهة: مرجع سابق،ص36.

[4]– بلاح وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصرة 1830– 1989،دار الهدى ، الجزائر،2007، ج1 ، ص 155.

[5]– كاتب: مرجع سابق، ص 57.

[6]– السويدي: مرجع سابق، ص 68.

أما عن الفئة الثانية التي ساهمت في تغيير التركيبة السكانية للجزائر هي فئة اليهود الذين استقروا في مدينة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وكانوا يعاملون معاملة أهل الذمة وقد كان عددهم أثناء فترة الاحتلال لايتجاوز 17ألف يهودي منتشرين في المدن الكبرى كقسنطينة ووهران تلمسان بنسب كبيرة على غرار بعض المدن التي شهدت استيطان بعض من الجماعات اليهودية مثل مستغانم مليانة وقد زاد عددهم خاصة بعد صدور قانون كريميو في 24 أكتوبر 1870م الذي سمح بمنح الجنسية الفرنسية لليهود المقيمين في مدينة الجزائر مع المحافظة على شخصيتهم اليهودية[1]، أما بالنسبة للإيطاليين والمالطيين فقد استقروا بالشرق الجزائري وخاصة في المدن الساحلية فمارس المالطيون التجارة [2]بحيث وصل عددهم في مدينة الجزائر وقسنطينة عام 1833م إلى 1.213 نسمه ،على غرار الإيطاليين الذين كان عددهم في تزايد مستمر كونهم كانوا كثيري الإنجاب وهذا ما ساعد على توفير للمستعمر يد عاملة استغلوها في السيطرة على الأراضي الجزائرية ففي عام 1856م بلغ عدد الإيطاليين الذين أتوا إلى الجزائر 9.472 نسمة وفي سنة 1896 ازداد عددهم ليصل إلى 35.268 نسمة[3] .

كما تأثرت التركيبة السكانية بفئة جديدة وهم الاسبان الذين وفدوا إلى مدينة الجزائر بداية من عام 1832م واستقروا بضواحيها بعدما منحتهم الإدارة الفرنسية بعض الأراضي التي حولوها إلى مزارع يشتغلون فيها وقد بلغ عدد الاسبانيين المقيمين في الجزائر في عام 1896م حوالي 160.000 نسمة[4] .

---

[1]– أحمد سميح حسن إسماعيل: الاستيطان اليهودي في الجزائر 1830–1919،دار الكتاب العربي، الجزائر، 2014 ، ج 1، ص 114 .

[2]– كاتب: مرجع سابق، ص 55.

[3]– بن داهة: مرجع سابق ، ص ص 39–37 .

[4]– بن داهة: مرجع سابق ، ص 36 .

وهذا الجدول [1] يبين لنا تطور عدد السكان الأوربيين الذين وفدوا إلى الجزائر في الفترة الممتدة من 1856م –1872م:

إحصاء	1856م	1861م	1866م	1872م
_فرنسيون	92738	112229	122119	129601
يهود	21408	28097	33952	34574
أهالي(الجزائريين)	2307349	2732851	2652072	2125052
أجانب	66544	80517	94871	11516
المجموع	2487679	2953694	2904014	2404743

في الوقت الذي كان فيه عدد السكان الأوروبيين يتزايد بسرعة فائقة في المقابل كان عدد السكان الجزائريين يتراجع حسب معطيات سنة 1856م –1872م من 2,3مليون نسمه إلى 2,1 مليون نسمة [2].إن وجود هؤلاء المستوطنين الأوروبيين في الجزائر و الذين شكل العنصر الفرنسي أغلبيتهم كان لهم دور في تغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري.

إن وفود هذه العناصر الأجنبية إلى الجزائر بطبيعة الحال أدى إلى اختلال التوازن السكاني بالإضافة إلى الحرب المستمرة التي أخذت الكثير من السكان، والهجرة إلى الخارج هروبا من البطش الاستعماري و المجاعات التي حدثت في سنوات 1866م 1867م 1868م ، إلا أن هذه الأوضاع لم تكن هي وحدها التي أدت إلى اختلال التوازن السكاني وإنما كانت السياسة الاستعمارية الإجرامية سبب في ذلك نظرا لما قامت به من عمليات الإبادة الجماعية في حق السكان والتي راح ضحيتها الآلاف من الجزائريين [3] ونذكر على سبيل

[1]–كاتب: مرجع سابق، ص 58.

[2]– نفسه:ص ص57–58.

[3]– كاتب: مرجع سابق، ص 50 .

المثال نموذجاً لأكبر عملية إجرامية وهي إحراق قبيلة أولاد رياح في 19–20 يونيو 1845م داخل غار الفراشيش بجبال الظهرة على يد قوات السفاح بيليسي [1] والتي راح ضحيتها حوالي (600 شخص) أو أكثر [2] .

إن التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري تأثرت بهذه العناصر الدخيلة التي أصبحت تعيش على حساب السكان الجزائريين فقد أخذوا أحسن المنازل والوظائف وحتى الأراضي ، فما كان على الجزائريين إلا أن يتعايشوا مع هذا الوضع.

المبحث الثاني: الهجرة أسبابها ومراحلها

إن ظاهرة الهجرة التي عرفتها الجزائر بداية من عام 1830م ارتبطت بالوضع العام الذي أصبحت تعيشه الجزائر من جراء السياسة الاستعمارية التي كانت تعمل على طمس معالم المجتمع الجزائري ومقوماته الشخصية، مما أدى إلى حدوث العديد من التحولات داخل المجتمع .

1: أسباب الهجرة

لقد تعددت الأسباب و الدوافع التي ساهمت في تنامي ظاهرة الهجرة أوساط الجزائريين، سواء كانت أسباب دينية أو اقتصادية منذ بداية الاحتلال و خاصة و أن هذا المجتمع أصبح يعيش تحت سيطرة أجنبي لا يعرف الرحمة ولا الشفقة،ومن بين أهم هذه الأسباب نذكر: السياسة الاستيطانية التي تعتبر من الأسباب الأولى التي ساهمت في هجرة الجزائريين لبلدهم ويظهر ذلك إثر عمليات مصادرة الأراضي قصد التملك وكسب شرعية البقاء

---

[1]–ولد بمنطقة مارمون عام 1794م التحق بالجيش في عام 1813م ثم طرد إلا أنه عاد إلى الخدمة في سنة 1820م شارك في الحرب الاسبانية وكذلك في الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م ، وفي 1842م وترقى إلى رتبة عقيد ثم نائب قائد أركان لجيوش فرنسا في الجزائر ارتبطت شهرته بالمجزرة التي قام في حق قبيلة أولاد رياح .أنظر : الغربي وآخرون، مرجع سابق ، ص 332.

[2]– بلاح: مرجع سابق ، ص ص 92 – 93 .

فيها،[1]من خلال توطين العناصر الأوروبية بها بموجب إصدارها لجملة من القوانين تسمح لهم بحق الكسب والتملك [2]فيظهر لنا من خلال إتباع فرنسا لهذه السياسة إدراكها لأهمية الأرض بالنسبة للجزائري فهي تمثل له عرضه لذلك ركزوا عليها، فكانت معظم التقارير تحث وتشجع ظاهرة الاستيطان في الجزائر على سبيل المثال ما قاله ألكسي دوطوكفيل :"لقد قلت إن مايثير أكثر الأهالي ويخيفهم عن حق هو أن يرونا نأخذ أراضيهم و نفلحها،خاصة عندما يظهر الفلاح وراء الجندي فسوف يفهمون أن الأمر لا يتعلق فقط بغزوهم بل بتجريدهم من أملاكهم أيضا".[3]

لقد قرر الكثير من الجزائريين الهجرة إلى خارج البلاد نحو البلدان العربية الإسلامية، فخروج الجزائريون من أراضيهم وترك بلادهم كان هروبا من التدنيس و العيش تحت سلطة (الكافر)[4]،كما ساهم صدور قانون 1846م الذي نص على أن عدم زراعة الأرض هو سبب كافي لانتزاعها من مالكها ووضعها تحت تصرف الإدارة الفرنسية في هجرة الآلاف من السكان إلى المشرق العربي [5] .

إن الاستيلاء على المؤسسات الدينية و الثقافية وهدم البعض منها بموجب قرار 08سبتمبر 1830م ساهم في هجرة العديد من العائلات و الأشخاص الذين كانوا يعملون في هذه المؤسسات خاصة وأن أملاك هذه المؤسسات الوقفية كانت مخصصة لأغراض دينية

---

1 –نادية طرشون وآخرون : ا لهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال،دار هومة،طخ،الجزائر2007،صص153–154 .

2– يحي بوعزيز :سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائر 1830–1954،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2007،ص31.

3 _ألكسي دو طو كفيل : نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال و الاستيطان،تح إبراهيم صحراوي ،د يوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 ، ص ص63–64.

4– كمال فيلالي: الهجرة القبائلية إلى بلاد الشام على إثر ثورات المقاومة وأثرها الثقافي والحضاري ، الهجرة الجزائرية و النفي وآثارها على الصعيد الثقافي واللغوي ،سلسلة المطبوعات للملتقيات السنوية،الجزائر، 2010،ص14 .

5– طرشون:مرجع سابق،ص157 .

كالحج و التعليم ونظرا لما حل بها هاجر العلماء والطلبة [1]،كما تعرضت بعض المؤسسات إلى الهدم أو التغيير، فحولت بعض المساجد إلى كنائس ومخازن ومستشفيات [2]فمثلا تم تحويل جامع القصبة إلى كنيسة والتي أصبحت تسمى كنيسة الصليب المقدس،وكذلك جامع علي بتشين حول إلى كنيسة أطلق عليها اسم كنيسة سيدة النصر هذا ما جعل الجزائريين الذين كانوا يعيشون معززين يشعرون بالذل و المهانة أمام الفرنسيين و اليهود.[3].

أما العلماء ورجال الطرق الصوفية فقد كان لهم دور كبير في تشجيع الهجرة من خلال الفتاوى الدينية التي كانت تدعوا إلى وجوب الهجرة من دار غلب عليها (الكفر والطغيان والشرك)إلى دار تعم بالأمن والسلام بالإضافة إلى إصدارهم فتوى تقول بأن هـ لا يجوز لهم مخالطة (الكفار)وأن كل من يقيم تحت ذمتهم تعتبر صلاته باطلة وصيامه ولا يجوز له الحج و لا حتى الجهاد [4]‘تعتبر الضرائب من بين الإجراءات القمعية ذات الطابع الاقتصادي التي ساهمت في خروج العديد من الجزائريين من أراضيهم لأنها أثقلت كاهلهم وزادت من شقائهم و بؤسهم[5] فلم يعد باستطاعتهم الدفع لأنها كانت فوق مقدرتهم[6] .

كذلك كانت سياسة الإبادة والتشريد والنفي من بين العوامل التي أدت إلى خروج الجزائريين من بلادهم بحيث قامت السلطات الفرنسية بتهجير الأعيان والقادة السياسيين بحجة أنهم تآمروا ضد الفرنسيين أو انضموا إلى المقاومة ومن هؤلاء الذين قامت الإدارة الفرنسية

---

[1]– صلاح العقاد : المغرب العربي الكبير في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى، مكتبة الأنجلومصرية، ط 6 مزيدة ومنقحة،مصر، 1993 ، ص 132 .

[2]– سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج1، ص66.

[3]– طرشون: مرجع سابق ، ص 172 .

[4]– محمد أمطاط: الجزائريون في المغرب مابين 1830–1962م، مساهمة في تاريخ المغرب العربي الكبير، ت ح، محمد كنبيب، ط 1، دار أبي رقراق، د.ب، 2008 ، ص 42 .

[5]– بلاح:مرجع سابق، ص257 .

[6]– طرشون: مرجع سابق،ص167 .

بتهجيرهم نذكر على سبيل المثال:"الباي مصطفى بومرزاق"،"المفتي محمد بن العنابي" [1]،و" مصطفى الكبابطي"[2] ، بالإضافة إلى تدهور مستويات معيشتهم خاصة بعد فقدان أراضيهم التي تعتبر مصدر الدخل الرئيسي لمعيشتهم مما أدى إلى انتشار البطالة والجوع والفقر ،والمرض[3].

2: مراحل الهجرة واتجاهات المهاجرين الجزائريين

عرفت الجزائر هجرة داخلية وخارجية قبل الاحتلال الفرنسي، ولكن زادت حدتها أكثر مع الغزو الفرنسي .

أ-**الهجرة الداخلية** :عرفت الجزائر هذا النوع من الهجرة خلال المجاعة التي حصلت في سنتي 1867-1868،حيث زحف العديد من الجزائريين الذين تضرروا من هذه المجاعة نحو منطقة القبائل[4]،"بحثا عن لقمة العيش وبعض الدفء والعلاج إن أمكن ذلك"[5]لأن تلك تلك المناطق لم يصلها الاستعمار آنذاك فقاموا بتقديم يد المساعدة لهم[6]

ب-**الهجرة الخارجية** :وهي التي كان لها تأثير كبير على المجتمع الجزائري،ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل:

---

[1]- هو محمد بن محمود بن حسين،ولقب شهرته ابن العنابي ولد سنة 1189هـ-1775م،برع في علوم الدين والدنيا،تولى منصب الإفتاء الحنفي،اتسمت مواقفه بمعارضة السلطات الفرنسية ونعتها بعدم الوفاء بالاتفاق الموقع في 05جويلية 1830م وهذا ما سبب له النفي . أنظر بلاح: مرجع سابق،ص ص200 -201 .

[2]- من مواليد 1189هـ بالجزائر العاصمة، تلقى تعليمه على يد الشيخ علي بن عبد القادر، وأنهى دراسته حوالي سنة 1227هـ، ثم تولى وظيفة التدريس، وفي سنة 1243هـ / 1827م عينه الداي حسين باشا في منصب القضاء المالكي، ونتيجة لمواقفه المعارضة للسياسة الفرنسية أدى بالجنرال بيجو إلى نفيه سنة 1843إلى الإسكندرية، توفي سنة 1277هـ .أنظر: عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002،ج2، صص121- 122.

[3]- بلاح:مرجع سابق،ص319 .

[4]- الأشرف:مرجع سابق، ص 15 .

[5]- صاري: مرجع سابق، ص 21.

[6]- الأشرف:مرجع سابق، ص 16 .

المرحلة الأول من 1830م-1847م:وفي هذه المرحلة كانت الهجرة قليلة نحو المشرق بحيث كانت في أغلبها نحو المغرب الأقصى وتونس فقد لجأت إلى تونس العديد من العائلات الجزائرية واستقرت هناك خاصة بعد سقوط عنابة في أيدي المحتل، وكانت حركة الهجرة تزداد وتتسع أمام فشل كل مقاومة كانت تظهر [1]، وذلك هروبا من التعسف والاضطهاد[2]كما اتجه العديد من الجزائريين إلى المدن المغربية كتطوان وفاس و وجدة ففي سنة 1830 وفد إلى تطوان العديد من المهاجرين وكانوا يتشكلون في أغلبهم من التجار والحرفيين وبعض الأعيان الذين تضرروا من السياسة الاستعمارية.[3]

أما مدينة فاس فعرفت هجرة أعداد كثيرة إليها خلال فترة 1830-1842 وكان أغلب المهاجرين من تلمسان و وهران و معسكر،حيث لقوا ترحيباً واسعاً من سكان المدينة الذين اقتسموا معهم كل ما يمتلكونه،كما تعرض الأغنياء خلال هذه الفترة إلى مصادرة أملاكهم فأصابهم الفقر،على اثر ذلك قرروا الخروج من المنطقة. [4]ومما يدل على أن الهجرة كانت كثيفة في هذه المرحلة هو إعلان "الجنرال الفرنسي بيجو" عن سياسة الأرض المحروقة التي تضرر منها الجزائريين كثيرا .[5]

إن الهجرة الجزائرية نحو البلدان العربية كانت بشكل مستمر نظرا للظروف القاسية التي كان يعيشها الجزائريون من جراء القوانين التعسفية التي كانت تطبق عليهم، وخاصة مصادرة أرضيهم التي كانت تمثل أساس معيشتهم.

---

[1]- طرشون:مرجع سابق،259 .

[2]-عمار هلال:الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918،دارهومة، الجزائر،2007،ص25.

[3]- أمطاط: مرجع سابق، صص44-54.

[4]- نفسه: ص 39 .

[5]- محمد يعيش: الجالية الجزائرية في المغرب الأقصى ودورها في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1930-1962، دار الهدى، الجزائر،2013، ص76 .

أما المرحلة الثانية من 1847م-1870م: وقد تميزت هذه الفترة بهجرات جماعية كالهجرة نحو دمشق بقيادة "أحمد الطيب بن سالم"خليفة "الأمير عبد القادر"، بسبب الظروف الصعبة التي أحاطت بالمقاومة من كل النواحي وكذلك عدم تمكن "الطيب بن سالم"من وجود حليف له في فك العزلة عن حركة المقاومة التي كان يقودها،وفي ظل تلك الظروف كان" الشيخ المهدي السكلاوي "مقدم الطريقة الرحمانية يعد للهجرة ،فالتحق به عدد كبير من سكان المنطقة حيث بلغ عدد المهاجرون قرابة 560 شخص بين رجال ونساء وأطفال [1]،ومن العائلات التي كان لها مكانة كبيرة في الجزائر مثل عائلة"الشيخ الصالح السمعوني".[2]

وفي الفترة الممتدة بين 1854م-1856م خرج "الأمير عبد القادر"وأعيان دولته وأنصاره في اتجاهات مختلفة إلى المغرب وتونس و مصر والشام والحجاز،فاستقر الأمير بدمشق [3]ففي عام 1854م رحلت أعداداً هائلة من العائلات الزواوية القبائلية إلى سوريا ثم التحقت في عام 1864م 200 عائلة زواوية[4]، هذه الهجرة كانت هروبا من التعسف الاستعماري القائم على الظلم والاضطهاد،ولكن في نفس الوقت هي إفراغ المجتمع من عناصره الفاعلة،لو أن كل الجزائريين في تلك الفترة قرروا الهجرة لما وجد أحد يحارب عن هذه الأرض .

المرحلة الثالثة 1871م-1900م : خلال هذه الفترة وقعت أحداث هامة تركت الجزائريين يخرجون عن أراضيهم بداية من فشل ثورة المقراني 1871م،إثر ذلك عملت السلطات الفرنسية على معاقبة المشاركين في هذه المقاومة من خلال تهجيرهم ونفيهم بالقوة [5]،مثل

---

[1]- طرشون:مرجع سابق،ص198 .

[2]- هو الصالح بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم،المشهور بعائلة السمعوني هاجر إلى دمشق وعمل كمدرس في المسجد الأموي . أ نظر : سهيل الخالدي، دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق العربي 1847-1947،دار هومة ،الجزائر2013،ص53 .

[3]-هلال: مرجع سابق، ص 20.

[4]- بلاح:مرجع سابق ، ص320 .

[5]- هلال:مرجع سابق، ص 25 .

عائلة أولاد عبدي من باتنة [1](أنظر: الملحق رقم 01 ص 101)وأكبر هجرة عرفتها الجزائر هي هجرة 1888م على الرغم من أن الإدارة الفرنسية كانت قد وضعت قانون يمنع منح رخص الخروج وجوازات السفر للجزائريين في أفريل 1856م،إلا أن هذا القانون عدل في 1858م وأصبح على الذي يريد الحصول على جواز سفر مغادرة البلاد دون رجعة [2]حيث خرجت في هذا العام 250 عائلة جزائرية ونزلت بميناء عكا.[3]

كما ظهرت خلال سنتي 1898م-1899م هجرة بين الجزائريين الذين كانوا يقيمون في تونس ومن هناك انتشر تأثيرها ليصل إلى أقصى مناطق الشرق الجزائري خاصة بين طبقة الفلاحين[4]،"فهجر العديد من الجزائريين الذين ينتمون إلى المدية ،البرواقية،سور الغزلان وبعد صيف 1898م امتدت إلى مناطق أخرى إلى مدينة الأصنام(شلف حاليا)."[5]

3: أثار الهجرة على المجتمع الجزائري .

إن الهجرة الجزائرية أثناء فترة الاحتلال كان لها أثار وخيمة على المجتمع الجزائري بحيث أدت إلى حدوث الكثير من التغيرات في العديد من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية

بمجرد دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر بدأت الحياة الاجتماعية تسير نحو التدهور من جراء السياسة الاستعمارية التي اتخذت في حقهم، فبهجرة الجزائريين أو التهجير العمدي الذي تعرضوا له بدأ يتراجع عدد السكان نظرا لخروج [6]، عدد كبير من الأفراد والعائلات ففي

---

[1]- عبد الحميد زوزو : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر، 2009،ص194 .

[2]- طرشون: مرجع سابق،ص225 .

[3]- هلال:مرجع سابق،صص80-81 .

[4]- نفسه: ص 80 .

[5]- نور الدين ثنيو : هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي بين السياسة والدين، سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في التاريخ الماضي والحاضر ، أعمال ملتقى العلمي الأول 2008،مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة،قسنطينة، 2009،ص100.

[6]- بوضرساية: مرجع سابق،ص109 .

الغرب خرج من وهران وتلمسان ومعسكر مستغانم ومازونة عائلات كثيرة متجهين إلى المغرب والبعض الآخر إلى المشرق،وعلى سبيل المثال أيضا أنه في عام 1846م تم خروج 2000عائلة من بلاد القبائل متجهة نحو سوريا ومن الطبيعي أن يكون هؤلاء المهاجرين من الفئات الاجتماعية التي كان لها الأثر الكبير في سير البلاد نظرا لما كانت تقدمه من أدوار مختلفة، فكان من بينهم الأثرياء ورجال الأعمال والتجار والملاك وغيرهم الذين قد تركوا ورائهم كل ممتلكاتهم[1] .

وفي هذا الصدد يشير الأستاذ بوضرساية بوعزة بأن مدينة الجزائر لوحدها فقدت ثلثي سكانها الذين كانوا يتكونون من التجار الذين فرضت عليهم الهجرة [2]. فيتضح لنا من خلال هجرة هذه الفئات الاجتماعية الفاعلة في المجتمع أن الجزائر تضررت كثيرا لأنه بفقدان هذه الفئات تختفي معهم الأدوار التي كانوا يقومون بها.

ولم يتوقف تأثير ظاهرة الهجرة على إفراغ المجتمع من عناصره القيادية والفاعلة وإنما تعدى ذلك إلى جوانب سيسيولوجية أخرى فقد وجدت الأسر المهاجرة أو المهجرة على السواء نفسها في وسط اجتماعي مختلف تماما عن الوسط التقليدي الذي اعتادت العيش فيه سواء في جوانبه الثقافية أو الاجتماعية، بحيث أصبح كل فرد من العائلة يميل أكثر إلى أسلوب الحياة الفردية عكس الحياة الريفية المعروف بالتضامن والتكافل المرتبطة بخدمة الأرض [3]كما تأثرت البنية الفلاحية الجزائرية بحركة الهجرة خاصة و أن الاقتصاد الجزائري كان يقوم على الزراعة والرعي و كذلك المبادلات التجارية بين السكان فبخروجهم من بيئاتهم توقف الإنتاج الفلاحي مما أدى إلى إهمال الزراعة وتوقفت الصناعات والحرف[4] وهذا ما يؤدي إلى تغيير

---

[1] – هلال: مرجع سابق، ص ص17– 20.

[2]– بوضرساية: مرجع سابق، ص ص109–110.

[3]– شمبازي: مرجع سابق، ص 177 .

[4]– الطاهر عمري: تأثر بنية المجتمع الجزائري بالتهجير والهجرة مع بداية الاحتلال، الهجرة الحراك والنفي وأثارها على الصعيد الثقافي واللغوي، سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الهجرة، الجزائر 2010، ص 35.

تغيير نمط المعيشة وانتشار الفاقة والحاجة داخل المجتمع، وفي ظل تلك الظروف وفد إلى الجزائر العديد من الأوربيين الذين أخذوا الأراضي الزراعية واستغلوها لصالحهم واستوطنوا في البعض منها بحيث وصل على سبيل المثال عدد الايطاليين في سنة 1856م إلى 9,472نسمة ليرتفع في سنة 1896م إلى 35,268 نسمة، وبترك الجزائريين لبعض مناصب شغلهم استولى المالطيون عليها فاشتغلوا في المقاهي والمطاعم [1] بالإضافة إلى تضرر قطاع الماشية من عملية الهجرة والتهجير نظرا لتقلص المساحات الرعوية وكذلك لغياب الاهتمام به[2] .

كذلك من أثار الهجرة على المجتمع أنها ساهمت في انتقال ملكيات واسعة من الأراضي الخصبة في نواحي سيدي بلعباس، والسهول الساحلية في وهران وأرزيو من الجزائريين إلى المعمرين فالفراغ الذي حصل من جراء تلك الهجرات جرى تعويضه بسهولة من طرف المعمرين[3].

كما أثرت الهجرة الجماعية والفردية للعلماء والفقهاء بإفراغ مدينة الجزائر من العديد من الكفاءات العلمية والدينية التي كان لها دوراً رياديا في تسيير الحياة من خلال تأديتها للعديد من الخدمات الاجتماعية من تعليم وإفتاء [4]،أما فيما يخص هجرة الفقهاء فإن الجزائريين سيجدون أنفسهم ضائعين أمام العديد من القضايا الدينية التي تحتاج إلى فتوى خاصة وأنهم أصبحوا يعيشون مع أشخاص مختلفين في الدين والعادات والتقاليد،وبحاجة ماسة لمن يفصل في الخصومات التي كانت تحدث بينهم.

---

[1]– بن داهة عدة :مرجع سابق،ص ص37–39 .

[2]– محمد شمبازي : المحتشدات في الجزائر عملية تهجير قصريه لغايات عسكرية ، الهجرة الحراك والمعالم الحضرية في الجزائر أعمال الملتقى العلمي الأول، مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة عمارة مخابر العلوم الإنسانية،الجزائر ،2011، ص177 .

[3]– يعيش: مرجع سابق، ص41.

[4]– بلاح: مرجع سابق ، ص333 .

وفي هذا الصدد يشير الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن مدينة الجزائر في ظرف قصير لا يتجاوز 17 سنة فقدت عدد لا يستهان به من أعيانها السياسيين والعسكريين والنخب الثقافية العلمية واستمر هذا الوضع طيلة القرن 19 حتى أن البلاد كادت تفرغ منهم[1] .

إلا أنه لا يمكن إغفال الدور الإيجابي الذي نتج عن حركة الهجرة الخارجية على المجتمع الجزائري فقد تحسنت ظروف معيشة المهاجرين الجزائريين وعائلاتهم في البلدان التي اتجهوا إليها لأن غالبيتهم كانوا يمارسون الخياطة، والحياكة والنجارة والحداد وحتى تجارة الأغنام فمنحت لهم مناصب شغل وأعطيت لهم قطع من لأراضي استغلوها في الزراعة [2]خاصة و أن نشاطهم في ممارسة التجارة ساهم في تخفيف الضغط الاجتماعي الذي كان يعيشه السكان الجزائريين بالإضافة إلا أن هذا النشاط التجاري ساهم في توطيد العلاقة بين المغرب والجزائر وفي المحافظة على الروابط الاجتماعية مع البلد الأصلي[3] .

أما فيما يخص هجرة النخب الجزائرية فقد كان لهم تأثير ثقافي وحضاري في البلدان التي هاجروا إليها ففي عام 1861م قدر عدد المهاجرين من أصول القبائلية في مدينة دمشق ب 95 رجلا حيث مارس البعض منهم التدريس مثل الشيخ الطاهر الجزائري ابن الشيخ صالح بن أحمد السمعوني الوغليسي والذي عين مدرسا في دمشق 1875م وتخرج على يده العديد من العلماء الأجلاء سواء كانوا شاميون أو مغاربة نذكر بعض منهم الشيخ محمد المبارك والشيخ سليم البخاري[4].

ومن بين الأسر التي كان لها دوراً كبير في الحركة العلمية والثقافية بالجزائر طيلة القرن التاسع عشر الأسرة المشرفية أو المشارفة التي سكنت بسهل غريس بمعسكر، إلا أن هذه

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :هجرة بعض الأعيان الجزائريين (1830–1848)، أعمال الملتقى الوطني الأول حول الهجرة إبان مرحلة الاحتلال 1830–1962، يومي 30–31أكتوبر 2006،منشورات وزارة المجاهدين،الجزائر، 2007، ص 29.

[2] – ثنيو: مرجع سابق ، ص 101 .

[3]– يعيش: مرجع سابق، ص ص 83 – 84.

[4] – فيلالي: مرجع سابق ، ص ص 16 – 20 .

الأسرة لم تبق في الجزائر نظراً لما ألحق بها من جراء التواجد الاستعماري الفرنسي بالجزائر فاضطرت إلى الهجرة باتجاه المغرب الأقصى لكونه دار إسلام فلقوا ترحيباً من سكان المنطقة وخاصة سلطان المغرب الأقصى في تلك الفترة عبد الرحمن بن هشام وهناك تحسنت أوضاعهم المعيشية من جراء المساعدات المالية التي قدمت لهم علاوة على ذلك إعفائهم من دفع الضرائب ، وعملت السلطة المغربية على دمجهم في المجتمع المغربي من خلال الاستفادة من خبراتهم العلمية والعملية فمنحت لهم مناصب في قطاع التدريس فتم تعين أبو حامد المشرفي في سلك التدريس ومحمد بن محمد المشرفي في سلك القضاء والإفتاء ، فكان لهذه الأسرة بحق دور في تنشيط الحياة العلمية والثقافية في المغرب الأقصى وتم إعادة الاعتبار لهم فأصبحوا يحضون بنفس المكانة التي كانوا يتمتعون بها في مدينة معسكر[1] .

وقد كان لحركة الهجرة دور في انخراط بعض الجزائريين في الجيش التونسي وفي الحياة السياسية التونسية ومن ثم اتجهوا يناضلون بجانب إخوانهم التونسيين ضد الاحتلال الفرنسي[2]علاوة على مساهمة بعض المهاجرين الذين سكنوا في دمشق في تمول حركة المقاومة بالسلاح والتي أطلق عليها المستعمر الفرنسي بالبندقيات الدمشقية [3]فالهجرة إلى سوريا ساهمت في ازدياد الوعي السياسي فأصبح لهم منبراً هناك يعبرون فيه عن انشغالاتهم وعن كل ما يجري في أراضيهم من جراء الاستعمار الفرنسي وسياسته القمعية[4] .

---

[1]– فارس كعوان: هجرة الأسرة المشرفية إلى المغرب الأقصى في عهد الاحتلال وإسهاماتها الثقافية، الهجرة الحراك والنفي وأثارها على الصعيد الثقافي واللغوي، سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الهجرة، الجزائر 2010، ص ص216 –219.

[2]– طرشون: مرجع سابق ، ص ص 264 – 265 .

[3]– فيلالي: مرجع سابق ، ص 18 .

[4] – نصر الدين بوزيان : الهجرة الجزائرية لسوريا في القرن 19 وأثرها السياسي و الإعلامي، الهجرة الحراك والنفي وأثارها على الصعيد الثقافي واللغوي، سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الهجرة، الجزائر، 2010، ص 262 .

على إثر هذه الظاهرة الاجتماعية حدثت العديد من التغيرات على الواقع الاجتماعي والثقافي وحتى الاقتصادي للجزائريين ولكن في تلك الفترة تعتبر الهجرة الحل الأمثل لخلاص الجزائريين من الظروف الاجتماعية المزرية و القاسية وتحسينا للمستوى المعيشي على الرغم من أنها كانت تشكل منعطفا سلبيا في النسق الاجتماعي وعلاقاته الاجتماعية من خلال مساهمتها في اختلال التوازن السكاني الجزائري لصالح المستوطنون الأوربيون.

حاولنا من خلال هذا الفصل أن نسلط الضوء على الواقع الاجتماعي للجزائريين من البدايات الأولى للاحتلال إلى غاية 1900م مبرزين أهم التحولات الاجتماعية التي حدثت نتيجة لتداعيات السياسة الاستعمارية التي مست جميع الجوانب الاجتماعية بداية من البنية الاجتماعية التي عملت على تفكيكها من خلال سن مختلف القوانيين التعسفية.

الفصل الثاني:

التحولات الثقافية في الجزائر

(1830م- 1900م)

على غرار الجانب الاجتماعي الذي عرف عدة تحولات، فإن الجانب الثقافي هو الأخر تعرض لهزات قوية من طرف الاستعمار، مما أدى إلى إحداث تغيرات على الوضع الثقافي، وربما أصبحت الثقافة في بداية الاحتلال لا تعني شيئا، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل.

المبحث الأول: الإنتاج الثقافي وأهم القضايا الثقافية المعالجة

1ــ الإنتاج الثقافي بين جدل الوجود و ضعفه:

على الرغم من أن هناك من ينفي وجود أي إنتاج فكري للجزائريين في القرن 19م منذ الاحتلال الفرنسي، وهناك من يجزم بعدم وجود أي تأليف ما عدا كتاب المرآة لحمدان خوجة الذي غطى على إنتاجه الآخر أي كتاب إتحاف المنصفين...، وهناك من يصفه بالضعيف نتيجة انشغال الجزائريين بمقاومة الاحتلال،ومن جهة أخرى هجرة بعض علماء الجزائر إلى الأقطار العربية ، وكذا الرقابة المفروضة على الطباعة، مما تعذر على العلماء كتابة ونشر مؤلفاتهم، غير أن الأمير عبد القادر الشاهد على عصره يرى عكس ذلك ويؤكد في كتابه رسالة إلى الفرنسيين ذكرى العاقل وتنبيه الغافل على وجود كتابات ومؤلفات" من الناس من ينكر التأليف والتصنيف،وكتابة العلوم في هذا الزمن، وهذا الإنكار خطأ. إذلا وجه لإنكار التصنيف، إذا صدر من العلماء الكاملين البالغين مرتبة التصنيف، وإنما يحمل هذا المنكر على إنكاره التنافس والحسد الجاري بين كل متعاصرين" [1]ولا نعلم إن كان يقصد بذلك الجزائر أم باقي البلدان العربية الأخرى، أو ربما يفسر هذا تواصله مع بعض الجزائريين من العلماء والمؤلفين الذين كانوا يولون أهمية لمجال التأليف ، وهذا ما يفسر ربما طبع بعض

[1]– الحسيني عبد القادر الجزائري: رسالة إلى الفرنسيين ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تح، عمار طالبي، منشورات ANEP،الجزائر 2005، ص59.

الكتب في مصر من إنتاج جزائريين على غرار عبد القادر المجاوي الذي طبع كتابه هناك سنة 1872 م، وفي هذا السياق انتقد الأمير بعض الأفكار الخاطئة التي لا زالت تدلي بظلالها على فكر بعض الأشخاص " ويقال لا كلمة أضر بالعلم من قولهم ما ترك الأول للآخر شيئا، لأن هذه الكلمة تقطع الآمال عن زيادة في العلم على علم المتقدمين، ويقتصر الآخر على ما قدمه الأول وهو خطر عظيم"[1].

مما تقدم لا يمكن إنكار وجود التأليف والكتابات فعلى الرغم من الاحتلال إلا أن الجزائري ظل يعمل على تخليد مختلف الأحداث ابتداءا من الاحتلال الفرنسي الذي تعرض لتفاصيله كل من حمدان خوجة في كتابه المرآة و كذا أحمد باي (باي بايليك قسنطينة) في مذاكراته ، بالإضافة إلى تخليد الشعراء لها أمثال الشاعر عبد القادر الوهراني . وإذا كان اهتمام المؤلفين بالكتابة خلال الفترة الأولى من الاحتلال قد تميزت بالضعف والتذبذب، لكن مع بداية السبعينات وتراجع المقاومة الشعبية برزت إلى الوجود فئة من علماء اهتمت بالتدوين على غرار كتابات كل من العلامة محمد أطفيش [2] الذي تجاوزت الـ 300 مؤلف[3]،وكذا

---

[1]– الحسيني عبد القادر: مرجع سابق، ص59.

[2]–محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش 1236هـ 1332هـ/ 1820م 1914م: من أكابر العلماء بالفقه والأدب والتفسير ،ومن رجال النهضة الإصلاحية الحديثة بالجزائر ومن أثاره شرح النيل، شامل الأصل والفرع، تحفة الحب في الطب، والشافية... عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، بيروت 1980،ص 19–20.

[3]– عبد القادر جغلول: أعمال عبد القادر جغلول علم الاجتماع التاريخي والثقافي المتعلق بالحركة الوطنية والثورة، ذاكرة الناس، الجزائر،2013، مج 2 ص640.

كتابات كل من صالح العنتري و محمد بن أبي القاسم الهاملي [1] ومن بين مؤلفاته رسالة في الهجرة، وفي تحريم الدخان، و في الطريقة الرحمانية.

حتى وإن كتب لبعض الأعمال أن تنجز إلا أنها ظلت حبيسة أدراج رفوف خزائن أصحابها ولم يكتب لها أن ترى النور إلا بعد فترة طويلة أو بعد الاستقلال أو أنها تعرضت للتلف أو الحرق خلال الفترات المظلمة التي عرفتها الجزائر.

2ـ أهم القضايا الثقافية التي عالجها المؤلفون .

إذا كان اهتمام الفئة المثقفة في الجزائر قبل الاحتلال مجرد سرد للأحداث وتمجيدها بعيدا عن واقعها الثقافي وقضايا المجتمع، فإن الاهتمام خلال فترة الاحتلال انتقل لقضايا أكثر ملامسة للواقع الثقافي للمجتمع.

– **قضية التعليم:** لعل ما شجع المؤلفين على الكتابة في هذا المجال هو الجهل الذي أصبح يسيطر على تفكير الجزائريين في ظل غياب أو نقص المؤسسات التعليمية، وكذا سياسة فرنسا اتجاه التعليم العربي الإسلامي... بالإضافة لكون "التربية أصل الإصلاح وفي التعليم أساس التقدم"[2] ولذلك نجد الأمير عبد القادر في كتابه رسالة إلى الفرنسيين " ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" يذكر بفضل العلم والعلماء مؤكدا عل ى تميز الإنسان عن باقي المخلوقات بخاصية "معرفة حقائق الأشياء ،على الوجه الذي هي عليه،بحيث يرتفع عن بصيرته حجاب

---

[1]– محمد بن أبي القاسم الهاملي: (1239هـ/ 1315هـ) حفظ القرآن ثم تعلم بزاوية سيدي السعيد بن أبي داود، قام ببناء زاويته بالهامل وتولى التعليم بها من أتباع الطريقة الرحمانية . أبي القاسم محمد الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف، طبع بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906 ص ص337، 339، 343 .

[2]–مولود عويمر : الشيخ عبد القادر المجاوي وكتابه إرشاد المتعلمين، الشيخ عبد القادر المجاوي، أعمال ملتقى وطني بتلمسان 28/27نوفمبر 2011، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ،الجزائر، 2011،ص74.

الشك، ويتيقن حقائقها منكشفة له. وبكمال هذه الخاصية ونقصانها، يفضل بعض أفراد الإنسان بعضا إلى أن يعد واحد بألف" [1]ويواصل قائلا أن كل ما في العالم من لذات تمل وتزول إلا العلم والحكمة [2]كما حث على تعلم مختلف العلوم " فهذه هي علوم الخلق . وهي معايشهم وكلها محمودة ثم إن هذه العلوم لا يمكن مباشرتها إلا بالتعلم والتعب في الابتداء، وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به،أو يمنعه مانع فيبقى جاهلا،وعاجزا عن العلوم الأخرى "[3] مؤكدا على أن تعلم العلوم العقلية لا تتنافى مع العلوم الشرعية[4].

إلى جانب الأمير لقيت قضية التعليم اهتماما من قبل الشيخ عبد القادر المجاوي [5] من خلال كتابه إرشاد المتعلمين الذي ألفه سنة 1872م، مؤكدا هو الآخر على أهمية الاعتناء بمختلف العلوم سواء الدينية أو الدنيوية، مبينا حاجة المجتمع الجزائري إليها وكذا لفت انتباه المتعلم لضرورة اختيار معلم كفئ"ثم إن العلوم أكثر من أن يحاط بها، فعلى العاقل أن يأخذ من كل أحسنه...أول ما يجب على الإنسان أن يتعلم القرآن الشريف أو ما تيسر منه ثم الحديث النبوي لأنه يليه في الفضيلة، ثم علوم الفرائض لأنه ثالث علم الفقه لأنه علم الحلال والحرام وبه العصمة في الدين والزينة في الدنيا وينبغي له أيضا أن يتعلم علوم العربية كالنحو...، وعلم الطب الذي به حفظ الصحة ومعالجة الأسقام، وعلم الكتابة والحساب

---

[1]–الحسيني عبد القادر: مرجع سابق، ص19.

[2]–نفسه: ص20.

[3]– نفسه: ص34.

[4]– نفسه : ص38.

[5]هو" عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي، نسبة إلى قبيلة بشمال المغرب الأقصى" من مواليد تلمسان عام 1264هـ/ 1848م من أسرة لها باع في مجال العلم والدين، استقر في قسنطينة سنة 1869م فدرس في مختلف الزوايا ومساجد المنطقة أكسبته شهرة علمية بين السكان في مختلف جهات المنطقة ، نتيجة لذلك عينته الحكومة الفرنسية مدرسا بجامع الكتاني محمد الصالح الصديق: أعلام المغرب العربي: موفم للنشر، ط2، الجزائر، 2008، ج 1، ص ص40 –41.

والهندسة والزراعة والمساحة والجغرافية...وغير ذلك من العلوم التي هي صفة كمال للإنسان. وعلى المتعلم أن يختار معلما عالما بحقائق الأشياء "[1]

نتيجة لما حمله الكتاب من أفكار مناقضة للواقع الجزائري لقي انتقادا من علماء الجزائر الذين رأوا فيه انتقاص من مناهجهم التعليمية ومحاولة لتنكر لمجهودهم، ومن جهتها الإدارة الفرنسية رأت في الكتاب تهديد لمصالحها في الجزائر، كما قادت الصحف الفرنسية حملة ضد المجاوي وكتابه تصدرتها جريدة تقدم الشرق le progrès de lest[2] التي" اتهمت الشيخ المجاوي بالعمل على زرع الفتنة بين العرب والأوروبيين بإحياء الهوية الجزائرية وتكريس اللغة العربية... ويهدد بذلك مشروع تمدين الأهالي الجزائريين"[3] .

ومن جهته محمد بن مصطفى بن الخوجة [4] في رسالته الاكتراث في حقوق الإناث، تطرق من خلالها لأهمية التعليم وفضله على الإنسان، لكونه شرف لصاحبه مستشهدا بآيات قرآنية وأحاديث النبوية" ثم إن العلم من حيث هو، محمود في نفسه لأنه فضيلة سعادة الإنسان وغذاء الروح ، وهو كله بالقياس إلى الجهل شرف لصاحبه وكما يتفاوت شرفه من جهة أخرى، كالموضوع أو الغاية أو مسيس الحاجة أوجهة الجميع وهو أبلغ في الشرف"[5] .

---

[1]– عبد القادر المجاوي : إرشاد المتعلمين، تح، عادل بن الحاج همال الجزائري، دار زمورة للنشر والتوزيع، طخ، الجزائر،2011 ، ص31–32.

[2]– عويمر: مرجع سابق، ص ص77–78 ،82.

[3]– نفسه: ص82.

[4]– بن الخوجة : 1281هـ 1333هـ/ 1865م 1915م محمد بن مصطفى بن محمد بن باكير بن الخوجة الملقب بالمضربة ولد ونشأ وتعلم بمدينة الجزائر تولى عدة وظائف حكومية، له عدة مؤلفات على غرار اللباب في أحكام الزينة واللباس والحجاب والاكتراث بحقوق الإناث... نويهض: مرجع سابق، ص 138.

[5]–مصطفى بن محمد بن الخوجة: أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة، منشورات ثالة، الجزائر2012، ص 66 .

في حين حاول العلامة محمد بن عبد الرحمن الديسي [1] الجزائري في الرسالة المسماة ب:مناظرة بين العلم والجهل التي لا تتعدى صفحاتها 12 صفحة ،إزالة الغموض والجهل الذي لا زال ينسج خيوطه على عقول الجزائريين ولن يتأتى ذلك إلا بإيقاظ العزائم وتحريك الهمم التي لازالت في سبات تنتظر الإنعاش من ذوي العقول الراجحة وهذا ما أكده في ختام رسالته " والغرض من تلفيق هذه (هذا) الكلم...إيقاظ العزائم وتحريك الهمم"[2].

إذا كان كل من الأمير عبد القادر والشيخ المجاوي تطرقا لقضية التعليم وفق المنظور العربي الإسلامي،فإن هناك فئة أخرى من رجال العلم كانوا من العائلات المعروفة والمؤثرة لذلك عملت السلطات الاستعمارية منذ الوهلة الأولى لكسب موالاتهم لها فشرعت في استمالة بعضهم بإرسالهم لباريس لاحتكاك بثقافتها أو عن طريق إغرائهم بمنحهم مناصب إدارية وذلك ليكون لهم تأثير على بقية السكان [3]وهذا ما ينطبق بشكل جلي على كل من محمود بن الشيخ علي الجزائري الذي يعتبر مضمون ما كتبه حول العلم والتعليم من أهم الخصال التي تميز الإنسان عن باقي الكائنات، فكل هذا يبدوا معقول، ولكن ما ليس معقولا هو دعوة الجزائريين لتعلم اللغة الفرنسية، معتبرا أن اللغة العربية ليست لغة علم "...فلا يمكن الوصول إلى ما ذكرنا إلا باللغة الفرنساوية وكتابتها لعدم وجود اللفظ العربي"[4]

---

[1]– محمد بن عبد الرحمن الديسي1270هـ/ 1340هـ 1854م/ 1922م ولد ونشأ يتيما، كان عالما وفقيها تولى التدريس بالزاوية الهامل ومن تأليفه شرح منظومة الأستاذ الاسمائية ومنظومة الجمل سماها الزهرة المقتطفة ومناظرة بين العلم والجهل. الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مرجع سابق، ص ص 399– 400، 407.

[2]–محمد بن عبد الرحمن الديسي الجزائري : مناظرة بين العلم والجهل، تح ، محمد شايب شريف، منشورات ثالة، الجزائر 2013 ص55 .

[3]– محمود بن الشيخ علي الجزائري: كتاب نصيحة عمومة لأهل الحضر والبادية، تح ، ابن الحاج الجزائري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1، الجزائر، 2008، ص77 .

[4]–نفسه: ص93.

وفي نفس الاتجاه كان رأي مصطفى بن السادات من خلال مقالاته في جريدة المبشر التي حث فيها على وجوب تعلم اللغة الفرنسية، وذلك لأنها لغة علم ووظيفة"لاسيما أنه في المستقبل لا يمكن نيل الوظيف بشيء إلا باكتساب العلم الشريف، وعلى رأسه معرفة اللغة الفرنسية التي عليها المدار، ولصاحبها يحل اللغز[كذا]"[1].

ما يمكن ملاحظته من خلال القراءات الأولية للمؤلفات التي تتطرق لموضوع التعليم هو أن كلها تنطلق من فكرة واحدة ألا وهي أن العلم والتعلم والعقل هو الشيء الذي يميز الإنسان عن باقي الكائنات، وهذا بلا شك ينم على كون النخبة كان تفكيرها متقارب وتعكس ربما الواقع المعاش باعتمادها على التكرار، دون تجديد في محتوى وفي ذهنية رجل العلم أنذاك، بالإضافة إلى اختلاف واضح بين مرجعية كل كاتب من خلال تمثله لوجهة نظر وفق المنظور العربي الإسلامي، أو المنظور الاستعماري.

رغم الجهل الذي كان يلقي بظلاله على الحياة الفكرية عند الجزائريين إلا أنه لم يمنع من ظهور نخبة مثقفة أولت اهتمامها بالوضع الثقافي في الجزائر.

قضية الطب أو التداوي :لأن السكان كانوا يجهلون طرق الصحة والتداوي نرى اهتمام المؤلفين ببعض جوانبه من خلال دعوة المجتمع لتعلم الطب،فكانت تآليفهم موجهة لطلبة والتلاميذ لتعلم فن الطب وإلى العلماء والفقهاء، وهذا ما أكده حمدان بن عثمان خوجة عن هدف من تأليف رسالة"أن يتصفح هذه الرسالة مشايخ الإسلام ويمعن فيها النظر حضرة العلماء الأعلام " [2]وذلك لأن بيدهم الحل والعقد وكلمتهم مسموعة عند السكان بإمكانهم إقناعهم بتلك الرسالة وهذا حسب رأينا. الذي كان له صدى واهتمام من بعض العلماء وعلى

[1]–الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984، ج5،ص123.

[2] – حمدان بن عثمان خوجة: إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء ، تح، محمد بن عبد الكريم ، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007 ، ص48.

رأسهم محمد بن مصطفى بن الخوجة الذي ذهب لما أقره حمدان خوجة، وهذا يدل ربما على التواصل والتفاهم الذي كان بين العلماء وتجلى بشكل واضح من خلال استناده لرأي حمدان بن عثمان خوجة في إثبات جواز الكرنتينة في مؤلفه" إتحاف الأدباء الذي مال فيه إلى القول بوجوب الكرنتينة"[1].

فكان حمدان بن عثمان خوجة من الأوائل الذين تطرقوا لهذا الموضوع بحكم احتكاكه بالغرب فكان كتابه "إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء" ربما أول ما كتب في مجال الطب وإتباع قواعد الإحتراس من الأوبئة ، وذلك لما " رآه سي حمدان، من تزمت بعض فقهاء الإسلام،ونبذهم لجميع ما جاء عن الإفرنج ولو أن كان فيه رقي أمتهم ، أو صلاحها بل ولو أن ذلك لم يمسس بشعائر دينها "[2] فكان نتيجة ذلك هلاك عديد من الناس.

ما يدل على قوة شخصية الكاتب رغم قوله"لست على ثقة من قبول فيما ألفت" [3] إلا أنه مضى فيما يريد وهذا يدل على فهم وقراءاته الجيدة واهتمامه بصحة مجتمعه بعيدا عن كل المزايدات والتعصب الذي لا يقره لا الدين ولا المنطق بل نهى عنه لقوله تعالى" وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ "[4].

وهذا ما يؤكده الأمير عبد القادر في كتابه رسالة إلى الفرنسيين ذكرى العاقل وتنبيه الغافل : "فالعلم المحمود ما يرتبط به مصالح الدين والدنيا، كالطب، والحساب ، وكل علم لا يستغني عنه في قوام أمر الدين والدنيا ، كأصول ...والحجامة بل الحجامة من العلوم اللازمة ، فلو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك إلى أهل ذلك البلد. فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء،

---

[1]– بن الخوجة: مرجع سابق،ص101.

[2] – خوجة: إتحاف المنصفين والأدباء...، مرجع سابق، ص 33.

[3]– نفسه: ص 48.

[4]–سورة البقرة، الآية195.

وأرشد إلى استعماله، وأعد الأسباب لتعاطيه، فيقبح التعرض للهلاك "[1]

وفي هذا السياق نلاحظ اهتمام الشيخ عبد القادر المجاوي بتعلم مهنة الطب حتى أنه قدمها على بعض العلوم الدينية،لأن به يكون الدين وهذا ما يؤكده بقوله:"فإن من الطب من يعتني بتربية الأطفال... وهذا العلم مقدم على سائر العلوم حتى علوم الدين لتوقف القيام بها عليه...وفي هذا العصر لا يسمى الإنسان طبيبا ما لم يتقن عدة علوم"[2]

من جهته السيد مصطفى بن الخوجة صرح في رسالته التي نشرها سنة 1896 بالجزائر، على وجوب التداوي مستدلا بقوله تعالى:
"ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ"[3]على وجوب على وجوب التداوي مستدلا بقوله تعالى: " وقول رسول الله عليه الصلاة والسلام (لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى) وخلص في الأخير"...اتفقت الأمة على جواز التداوي إذ ليس فيه شائبة شرك ولا فساد في الدين والدنيا بل فيه نفع كثير وجمع لشمل الناس"[4].

قضايا المرأة وواقعها الثقافي : نظرا للدور المهم الذي تقوم به المرأة داخل المجتمع في الحفاظ على مقومات الثقافة الإسلامية، نلاحظ اهتمام الكتاب بتحسين أوضاع المرأة الثقافية وقد يكون هذا راجعا للاحتكاك بالفرنسيين لكون بعض الكتاب من أهل الفتوى وإما لكونهم في تواصل مع الفرنسيين على غرار الأمير عبد القادر الذي فصل في بعض القضايا التي

---

[1]– الحسيني عبد القادر: مرجع سابق، ص33.

[2]–المجاوي:إرشاد المتعلمين، مرجع سابق، ص47.

[3]– سورة النحل، الآية69.

[4]– بن الخوجة: مرجع سابق، ص93.

تخص المرأة المسلمة منها قضية تعليمها، في حين كان مصطفى بن الخوجة تناوله لمسألة المرأة منطلقا من تأثره بالحركة الإصلاحية في المشرق وعلى رأسها محمد عبده الذي دعا لتحرير المرأة[1] وإخراجها من واقع الجهل الذي لا يزال يخيم على أفكارها البسيطة التي امتزجت بالخرافات والبدع.

لكون أن التعليم هو السبيل الوحيد لإعدادها لتصبح العضو المؤثر في المجتمع فكان واجب تعليمها وهذا ما أكده مصطفى بن الخوجة من خلال تخصيص موضوع كامل للحديث عن أحوال المرأة والدعوة إلى تعليمها هذا "وليس غرضنا من تحريض العزائم على تعليم النساء أن يبلغن حد الجهابذة من الرجال ،وإنما المراد أن تحصل المرأة على الواجبات الشرعية... وينبغي أن يكون لها إلمام بمبادئ بعض الفنون بقدر ما تصون به أمور منزلها من النظافة...وتربية الأولاد، لأن الأم هي المدرسة الأولى للأطفال حتى إذا انتظمت لها تلك الأمور نالت العيشة الراضية والمنزلة العالية، وذلك مما يزيدها جمالا وعفة وكمالا"[2] .

ومن جهة أخرى انتقد من يعلل ويعطي بعض الحجج الواهية لمنع المرأة من التعلم [3] " ثم إن من يمنع النساء من تعلم الكتابة والقراءة لا حجة له سوى زعمه أن النساء من طبعهن الخيانة والفساد ولا شيء أضر بهن من تعلمهن ما ذكر...أما الكتب فلا يقرأن منها إلا ما كان مختصا بالعشق وحيل النساء ومكرهن، أما الكتابة فأول ما تقدر المرأة على كلام بها فإنه يكون رسالة إلى زيد وأخرى إلى عمرو"[4].

---

[1]– سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج3، مرجع سابق ، ص83.

[2] – بن الخوجة:مرجع سابق، ص 80.

[3]– نفسه: ص80 .

[4]– نفسه: ص80.

لعل هذا رد على الأمير عبد القادر الذي أورد هذا العذر فبرده على أسئلة الجنرال دوماس الفرنسي، والتي كان من ضمنها سؤال حول تعليم المرأة "إن نساءنا يدخلن المدارس، ويتعلمن الكتابة، ويحصلن المعارف والآداب، بخلاف نساء العرب وإن العربية إذا تلاقت مع غيرها تكون غير عارفة ..." [1]، فكانت حجة الأمير عبد القادر على ذلك بقوله " اعلم أن الكتابة مثل السيف من وظائف الرجال يجمعون العلوم ويقيدون الحكم... أما النساء فلا يؤلفن كتابا ولا يستنبطن صناعة ولا فائدة، فيحتجن إلى تقيدها بالكتابة، لينتفع بها الناس..." [2] و يضيف قائلا بأن تعليمها لا يجدي نفعا بل أن أضراره أكبر من منافعه" فلا فائدة من تعليم النساء الكتابة، بل فيها ضرر كبير، لأن الكتابة عين العيون... فلهذا نهى شرع الإسلام عن تعليم النساء الكتابة وهو حق لا ينكره عاقل..."[3] .

إذا كان ذلك تعليل الأمير حول أضرار تعليم المرأة، فإن بن الخوجة كان رأيه عكس ذلك " إننا لا نسلم بأن جميع النساء على هاته الصفات الذميمة ... لأن المرأة الأصيلة العفيفة لا تكون على هذه النعت، و خصوصا إذا كانت تعلم ما يجب عليها لله تعالى ولزوجها وأبويها وأقاربها، فأما إن فاسدة من طبعها فلا يصعب عليها اتخاذ عجوز بدل الرسائل، فإن بعض العجائز الجاهلات هذه حرفتهن" [4]. مبينا أهمية تعليم المرأة لتكون منشغلة بالعلم بدلا من القيل والقال "فلعمري إن حصول النساء على ملكة الكتابة والقراءة وعلى الأدب والمعارف لهو أجل شيء بهن وهو أشوق لكمًل الرجال من الحسن والجمال..." [5]. وقد يعود هذا

---

[1]– الحسيني محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، القاهرة، 1903، ص178.

[2]– نفسه:ص178.

[3]– نفسه: ص 178 .

[4]– بن الخوجة: مرجع سابق، ص80.

[5]– نفسه: ص81.

التضارب والاختلاف في الأفكار إلى الخلفية والتنشئة لكل من الأمير ذا منطلق ديني صوفي حاد بخصوص تعليم المرأة، على عكس مصطفى بن الخوجة الذي يبدو مواكبا لروح العصر مدركا للأهمية تعليم المرأة ، وقد يعود إلى احتكاكه بالثقافة الفرنسية ووقوف على بعض محاسنها.

وعليه فإننا نرجح رأي العلامة مصطفي بن الخوجة الذي يبدوا مواكبا لروح العصر وربما متتبعا لما فيه منفعة ومصلحة للمجتمع، بالإضافة إلى كون جل الآيات القرآنية لم تستثن الأنثى من التعليم كما أنها لم تخصص التعليم للذكر دون الأنثى وكذا لم نقف على أي دليل من السنة والقرآن يمنع تعليم المرأة بل بالعكس ونستدل إذا صح الفهم بقوله تعالى " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ "[1] وكذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " طلب العلم فريضة على كل مسلم" ومسلم هنا يطلق على المرأة والرجل سيان.

المبحث الثاني:التعليم الجزائري في ظل السياسة الاستعمارية والموقف الجزائري منه

1- التعليم العربي الإسلامي في الجزائر والتحولات التي طرأت عليه:

منذ الوهلة الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر تفطن الاستعمار للأهمية التي يكتسيها التعليم العربي[2] بالنسبة للسكان كرمز لحفظ العقيدة والتمسك بالأرض فأخذت في تحطيم ركائزه من مصادر تمويل إلى الإشراف...ولعل ما يمكن تسجيله عن الأوضاع التعليمية في

---

[1]-سورة المجادلة، الآية 11.

[2]-يقصد بالتعليم الحر ذلك التعليم الذي لا تتبناه السلطات الرسمية ولا تتولاه الإدارة من حيث الإشراف ولا من حيث التمويل والعناية بل تحاربه وتعاديه كما في العهد الفرنسي، وإنما يقوم بالدرجة الأولى على مساندة الجماهير المؤيدة له وعلى التبرعات التي تقدمها للقائمين عليه . عبد الحميد زوزو : الثقافة والتعليمان الحر والرسمي في العهد الفرنسي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2017، ص71 .

الجزائر أثناء الاحتلال أنها كانت نقطة تحول في مؤسساتها التعليمية باستحداث مدارس فرنسية، مما أحدث تغييرا على مستوى التعليم في الجزائر فأصبحت بذلك في الجزائر مدرستين متناقضتين في الشكل والمضمون.

بعد أن كان التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني مسموح به لكل الأطفال سواء في المدن أو الأرياف، بشهادة الفرنسيين أنفسهم بأن معظم الجزائريين كانوا يعرفون القراءة والكتابة وصرح به الجنرال فلازي valaze سنة 1834 بقوله" أن العرب كلهم يعرفون القراءة والكتابة. وفي كل قرية كانت توجد مدرستان" [1]، غير أن هذا الوضع لم يستمر طويلا، فبعد الاحتلال الفرنسي عرف التعليم ونسبة المتعلمين تراجعا ، فعلى الرغم من عهود فرنسا في منشورها سنة 1830م والتي نصت فيه بأن تحترم كل ما هو جزائري من دين عادات وتقاليد ومعالمه، إلا أنها ضربت بعهودها عرض الحائط.

ما يفسر هذا التراجع والتحول هو عملية الهدم التي تعرضت لها مؤسسات التعليمية والدينية أو تحويلها إلى أوكار ومستودعات وثكنات عسكرية أو إغلاقها [2]، فكان تراجع مستوى التعليم بشكل تدريجي، لأن الاستعمار لم يكتف باحتلال الأرض فقط وإنما كان هدفه احتلال العقول لضمان بقائه.

فكانت الانطلاقة من مدينة الجزائر التي كان بها حوالي 186 مؤسسة مشكلة من 13 مسجدا وجامعا 108مسجدا صغيرا و 32 مصلى و 12 زاوية، وكلها تمثل أماكن للعبادة والتعليم ، ما فتئ يحل عام 1862م حتى أصبح عدد المساجد لا يتجاوز اثني عشر مسجدا

1– ferhat abbas: la nuit coloniale, editions ANEP, Alge, 2009, p 42 .

2– مثل المدرسة الكتانية التي تم ضمها لتصبح ضمن أملاك الدولة سنة1837م وتوقف بها كل نشاط تعليمي وتثقيفي إلى غاية 1850م.كمال غربي: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، ذاكرة الناس للنشر، الجزائر 2012،ص197.

منها ثمانية مساجد كبيرة [1]، وعليه يمكن تصور ما أصبح عليه التعليم في الجزائر، فإذا كان في كل حي مسجد أو زاوية يتلقى التلاميذ دروسهم فإن بعد الاحتلال أصبح الأباء لا يجدون مؤسسات يرسلون إليها أبنائهم، وبذلك أصبحوا أمام خيارين: إما أن يرسلوا بهم إلى المدارس الفرنسية وذلك يتعارض مع ثقافتهم وخوفا على أبنائهم، وإما أن يبقوا أبنائهم جهلاء لدينهم .

من جهتها قسنطينة عند احتلالها سنة 1837م عرفت تراجع عدد المؤسسات من 86 إلى 30مؤسسة، وفي المقابل تراجع عدد الطلبة من 600 إلى 60، في أقل من عشر سنوات 1837م/1846م[2] وهذا ما يؤكده الجنرال لاباسي سنة 1849م عن وضعية التعليم العربي المزرية خاصة في قسنطينة والعاصمة "إذ اختفت مدارس الطور الثاني بصفة نهائية تقريبا من الجزائر وكان على الشباب الراغب في اكتساب بعض المعارف الواسعة نوعا ما أن ينتقلوا لطلبها في تونس،وطرابلس و تطوان، وحتى في مصر "[3]

غير أن الجهة الغربية التي كانت بقيادة الأمير عبد القادر وذلك بعد مبايعته سنة 1832م تميزت عن غيرها طيلة عشر سنوات تمكن من التأمين والحفاظ على سيرورة التعليم بل والعمل على تدعيم مراكزه وهذا ما أكده بقوله "إن واجبي كحاكم أن أؤيد وأبعث العلوم والدين لذلك فتحت المدارس في المدن بين القبائل" [4] وإلى غاية 1843م بعد واقعة الزمالة أصبح

---

[1]– عبد النور خيثر : منطلقات أسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830– 1945م، المطبعة الرسمية البساتين، الجزائر 2006 ، ص63.

[2] –خيثر: مرجع سابق، ص63 .

[3]– إيفون توران : المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة (المدارس والممارسات الطبية والدين 1880/1830)، تر، محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005، ص 37 .

[4]– عميراوي أحميدة: تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، ط2، الجزائر،2004، ص142.

التعليم القرآني منحصر في الخيام، رغم مطاردة الاستعمار الفرنسي [1]بالإضافة إلى ذلك تعرضت كل من مدارس الزواوة بعد ثورة 1871م وكذا الجنوب الجزائري بعد احتلال ميزاب سنة 1882م إلى تدهور حالة التعليم بها بعد أن كانت ملاذا لأهل الشمال لتلقي العلوم بحواضرها وزواياها العلمية.

كما عملت السلطات الاستعمارية على مصادرة الأوقاف التي تفطنت منذ البداية لدورها الكبير في دعم المؤسسات العلمية، فكانت البداية بإصدار مجموعة من القوانين نصت على مصادرة الأوقاف[2] وبذلك فقد الجزائريون أهم عامل لتموينهم في مجال التعليم فكان سببا في تراجع عدد المؤسسات التعليمية وتدهور التعليم فبدون تموين لا يمكن أن تقوم المؤسسات التعليمية بوظائفها مما دفع بالأساتذة إلى مغادرة المدارس فبقي التلاميذ من دون تدريس، محدثا بذلك خلل في المنظومة التعليمية وشل أحد ركائزها .

وإلى جانب مصادرة الأوقاف التي تعد روح التعليم، تعرض التعليم إلى هزة أخرى هي هجرة أو نفي العلماء أمثال المفتي ابن العنابي و مصطفى الكبابطي أو تسريحهم من وظائفهم،وفي هذا السياق يسجل الكاتب الفرنسي بولارد أن الفرنسيين خلقوا اضطرابا بين الفئة المتعلمة في الجزائر مما اضطرهم لترك وظائفهم. [3] فأصبحت بذلك المؤسسات التي سلمت من الهدم لا

---

[1]– سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص46.

[2]– من هذه القرارات والمراسيم نذكر قرار 8ديسمبر1830م الذي حول الأوقاف إلى مراقبة المصلحة العقارية (الدومين) ومخطط جيرودان GERARDIN في 25 أكتوبر 1832م الذي تحول إلى تقرير مفصل بحدود وضعية الأوقاف سنة 1838م وساعد على إصدار أمر في أول أكتوبر 1844م أخضعت الأوقاف بموجبه للمعاملات المتعلقة بالأملاك العقارية وجعلها مطابقة للقانون الفرنسي حتى يتمكن الأوربيون واليهود من امتلاك الأملاك الموقوفة، وبذلك سهل على الإدارة الفرنسية تصفية الأوقاف بصفة نهائية لصالح الاستيطان الأوروبي في الجزائر بمقتضى قانون 1873م . خيثر : مرجع سابق، ص63.

[3]– أبي القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، دراسة وتحقيق خير الدين بن شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر،2012، ص75.

تتوفر على أساتذة يتولون التدريس بها مما حال دون تعليم الأطفال الجزائريين مبادئ دينهم وبعض أبجديات اللغة العربية فكان الاستعمار الفرنسي وبالاً على الوضع الثقافي بالجزائر.

بعد وصول الحاكم العام الجنرال شانزي CHANZYE والذي كان من أشد أعداء التعليم القرآني لكونه معاديا لفرنسا فقام في سنة 1877م بإصدار قرار [1] يحد فيه من فتح المدارس القرآنية بتحديد شروط منح ترخيص لها التي تعد مستحيلة في أغلب الأحيان وكان هدفه من ذلك " تكريس جهل الجزائريين بلغتهم ودينهم من جهة وتمكين المدرسة الفرنسية من التوغل في المناطق الريفية من جهة أخرى"[2].

عموما فإن حالة التعليم في الجزائر عرفت تدهورا وتراجعا وهذا ما يؤكده محمد عبده عند زيارته الجزائر سنة 1903م "إن حالة التعليم...في الجزائر سيئة جدا ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات بل ربما تندثر العربية بالمرة... لقد هجرت ربوع العلم وخربت دور الكتب وصارت الديار مرتعا للجهل والجهلاء، وكادت تدنس معالم اللغة العربية الفصحى، وتطرقت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية، بل أصبحت اللغة الفرنسية وهي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران وقسنطينة وعنابة "[3] وهذا ما عبر عنه دوطوكفيل[4]

2ـ الموقف الجزائري من التعليم الفرنسي:

---

[1]– في هذا السياق لم يكن شانزي وحده في ذلك بل كان هناك حكام سبقوه وخاصة ديقيدون، لتفاصيل حول مضمون وشروط القرار .أنظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج3 ، مرجع سابق، ص52.

[2]– نفسه: ص52.

[3]– نقلا عن بوضرساية: مرجع سابق ، ص 133.

[4]– وهذا ما عبر عنه دوطوكفيل " لم يكن المجتمع الإسلامي في إفريقيا[الجزائر] غير متحضر، كان فقط ذا حضارة متأخرة... وتخلينا عن المدارس، وفرقنا حلقات الدروس انطفأت الأنوار من حولنا بمعنى أننا أرجعنا المجتمع الإسلامي أكثر بؤسا، أكثر فوضى، أكثر جهلا وأكثر بربرية مما كان عليه قبل أن يعرفنا" دوطوكفيل: مرجع سابق ص126 .

أ-**الموقف الرافض:** عملت فرنسا في إستراتيجيتها على تحطيم التعليم بتحطيم مؤسساته ومصادر تمويله كما رأينا سابقا، و لكي تسد الفراغ الذي أحدثته ، قامت بإنشاء مدارس بديلة عن مدارس الجزائريي ن[1]مدعية بذلك أنها جاءت لبعث الحضارة في الجزائر، إلا أن الجزائريون تفطنوا لنواياها السيئة والهادفة حسب ما جاء على لسان الدوق دومال أن " بناء مدرسة أحسن وأفضل من فيلق عسكري لإقرار الأمن " [2] فكانت فرنسا وجنرالاتها يظنون أن إرساء التعليم الفرنسي هو الوحيد الذي يمكن من خلاله تحقيق هدفها في أن تصبح الجزائر مملكة فرنسية، غير أن هذا يبدوا بعيد المنال ، لأن الجزائري الذي رأى بالأمس انهيار مدارسه ومساجده من طرف هذا (الكافر) الفرنسي كيف له اليوم أن يثق في ومدرسته التي يقول عنها أنها تهدف لتحضيره فأين هذه الحضارة التي تبنى على أنقاض حضارته؟

إذا كان هدف التعليم الفرنسي هو مسخ المقومات الإسلامية ، فإن أول من عارض هذا التعليم هم العلماء ورجال الطرق الدينية والزوايا، لتخوفهم من أن يحل التعليم الفرنسي محل التعليم العربي الإسلامي[3] وكان على رأسهم مفتي الجزائر مصطفى الكبابطي الذي تعرض للنفي نتيجة معارضته تدريس اللغة الفرنسية في الكتاتيب القرآنية [4]

إن ما جعل الجزائريين متمسكين طلية سبعين سنة من الاحتلال بموقفهم هو تخوفهم من كون المدرسة الفرنسية تهدف من وراء تعليم أبنائهم تكوينهم وفق المنظور الفرنسي بعيدا عن

---

[1]- بدأت في تأسيس تلك المدارس ابتداء من سنة 1833م حيث تأسس في تلك السنة أول مدرسة فرنسية عربية بالجزائر العاصمة وأخرى بعنابة، ثم جاء بعد ذلك مرسوم الرئاسي المؤرخ في 14 جويلية 1850م أقر بدوره الشروع في تأسيس المدارس الفرنسية فيكل المدن التي تم احتلالها خاصة المدن الكبرى منها الجزائر العاصمة وقسنطينة ووهران وعنابة... بوضرساية: مرجع سابق، ص127.

[2]- حلوش: مرجع سابق، ص48.

[3]- نفسه ص116.

[4]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، طخ ، الجزائر، 2007، ج5 ، ص60.

مقوماته ووطنيته، وبذلك فهي في نظرهم تسعى إلى جعلهم عناصر موالية تخدم الأفكار الاستعمارية[1]، وهذا ما تؤكده المؤرخة توران " لدى السكان من الأهالي(الجزائريين) لا يكاد يكترث الجمهور بتعليمنا والقياد والطلبة وأصحاب النفوذ يخشونه ويرفضونه " [2]أما عن رفض الأولياء إرسال أبناءهم إلى المدارس الفرنسية فإن الجدول التالي[3] يبين قلة عددهم:

السنة	عدد التلاميذ	عدد المدارس
1882	3172	16مقابل24في 1877
1883	4094	
1888	10688	102
1898	23823	199

ومن خلال الجدول الذي يبين عدد التلاميذ الذين التحقوا بالمدارس الفرنسية خاصة بعد قوانين التي صدرت في عهد جول فيري 1883م[4] وعلى الرغم من الزيادة في نسبة التلاميذ التي كانت سنة 1888م تقدر ب 1.99% لتشهد زيادة بطيئة قدرت سنة 1898م[5] ب3.5 %، لا يمكن تفسير ذلك إلا باستمرار المجتمع الجزائري في مقاطعة المدرسة الفرنسية ورفضه لكل اقتراحات الفرنسية، كما نستنتج أنه بالرغم من فرض فرنسا إجبارية التعليم على الجزائريين، وكذا تشديد العقوبات على الأولياء الذين امتنعوا عن إرسال أبنائهم إلى تلك المدارس، إلا أن هذا لم يحرك ساكنا لدى الأولياء بل ظلوا متمسكين بمبدئهم

---

[1]– زوز: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، ج1، مرجع سابق، ص ص344 –345.

[2]– توران: مرجع سابق ، ص 299.

[3]– زوزو: الثقافة والتعليمان الحر...، مرجع سابق، ص30.

[1]– التي نصت على إنشاء المدارس البلدية، بدلا من المدراس العربية الفرنسية، التي تم إلغائها سنة 1883 م وبدأ في تطبيق برنامجه التعليمي بعد صدور مرسوم 9 ديسمبر 1887م. زوزو: الثقافة والتعليمان الحر... مرجع سابق، ص29.

[5]–علما أن عدد الأطفال في سن التمدرس بلغ حوالي 68000 طفل. زوزو: الثقافة والتعليمان الحر...، نفسه ص31.

الرافض. من الناحية الأخرى أرسلوا عرائض عبروا فيها عن موقفهم الرافض لإجبارية تعليم أبنائهم (ذكور وإناث) مما جعل الوالي العام لويس تيرمان يصرح بأن التعليم الفرنسي غير إجباري[1]

أما عن التعليم الثانوي فلم يكن بأحسن حال ففي قسنطينة على سبيل المثال كان عدد التلاميذ الذين التحقوا بالثانوية العربية الفرنسية التي افتتحت سنة 1867م 108جزائري لتعرف سنتي 1868م و1869م زيادة بطيئة ب115و123[2] لكن ابتداءا من سنة 1871م انخفض عددهم ليصل إلى 117تلميذ[3]، ويبدوا من ذلك أن التلاميذ وإن التحقوا بالمدارس، فإن مجرد معرفة الأولياء بفحوى البرامج المقدمة لأبنائهم فإنهم يمنعون أبنائهم من ارتيادها

هذا عن موقف الجزائريين من المدارس التعليمية الفرنسية، أما عن المدارس التبشيرية أي التعليم التابع للكنيسة فإن الجزائريين كانوا من أشد أعدائه وخاصة ببلاد القبائل التي استهدفت من طرف المبشرين بالإضافة إلى مناطق أخرى كالشلف والعطاف والجنوب الجزائري [4]لأن فرنسا لم يكن هدفها من وراء إنشاء هذه المدارس بعث الروح العلمية والتثقيفية في أوساط المجتمع الجزائري، وإنما كان هدفها يكمن في غرس الروح الصليبية ومحو معالم الدين الإسلامي في الجزائر.

---

[1]- زوزو: الثقافة والتعليمان الحر...، مرجع سابق، ص28 .

[2]- توران: مرجع سابق، ص282.

[3] - Charles-robert ageron : les algeriens musulmans et la France 1871- 1919 ,acheve d imprimer sur les presses ena , algerie, 2013, p325.

[4]- وهذا ما أكده الكاردينال لافيجري " انطلاقا من السيدة الإفريقية notre damed afrique ستشهدالجزائر سريان النشاط التبشيري في القبائل والشلف و الصحراء ..." بوضرساية: مرجع سابق، ص147.

لم ينجح المشروع الفرنسي في تنصير المجتمع الجزائري، فلم يلتحق بمدارسها إلا عدد قليل من الأطفال(الفقراء واليتامى) الذين أجبرتهم ظروف الحياة للسير في ذلك الاتجاه ورغم كل محاولات المبشرين لاستدراج بعض الأغنياء إلا أن محاولاتهم لم تنجح إلا في بعض الأحيان وذلك نتيجة للعلاقة التي تربط المبشرين بذويهم [1] هذا لا يعني أن الجزائريين قبلوا بالتعليم التبشيري، ومن ثمة فإن الأولياء خوفا من تنصير أبنائهم وانسياقهم وراء المبشرين فإنهم كانوا يلجئون إلى معاقبتهم بطريقة قاسية[2] حتى لا يفكروا مرة ثانية في عصيان أوامرهم.

وفي هذا السياق يعترف الأب صوبول soboul بتاريخ 22 جانفي 1875م، أن اهتمام الجزائريين بإرسال أبنائهم إلى مدراس التبشيرية ضعيف، لأن الجزائريين يفضلون تعليم أبنائهم أصول ومبادئ الإسلام وكيفية تأدية الصلوات على أن يبعثوا بهم إلى تلك المدارس التي يتنافى مضمونها والعقيدة الإسلامية [3] ونتيجة لفشل مساعيهم " اضطر مبشر وجمعية الأباء البيض إلى مغادرة قرية بني منقلات وغلق مدرستهم بها، وذلك لما فشلوا في استقدام الأطفال إليها إلى جانب مقت السكان عليهم"[4] .

الموقف المؤيد : على غرار الموقف الأول المعارض للسياسة الفرنسية التعليمية، فإن هناك من وقف موقف الإيجابي من هذه السياسة التي مثلها بعض الجزائريين الذين أبهرهم ما كان

---

[1]– للمزيد أنظر: وعلي، مرجع سابق، ص 211.

[2]– يروي أحد المبشرين ففي 29 جوان 1877م عاقب أب ابنه عندما ذهب إلى المدرسة (التبشيرية)، رغم منعه عنها وهكذا أرسله إلى الحقول مكتوف الأيدي ، ثم أحرقه في بطنه ووجهه. وعلي: نفسه، ص212.

[3] – نفسه: ص212.

[4]– نفسه : ص212. وفي السياق كتب العقيد روبان 1901م في كتابه تمرد القبائل سنة 1871" كل تلك المحاولات لتحويلهم إلى المسيحية لم يكن لها مفعول كبير ولكنها كانت تزعج أولئك القبائليين... حساسون جدا في مسائل الدين فإن أولئك الناس أصحاب النوايا السيئة لم يفتهم أن ينبهوهم إلى كونهم لن يتمتعوا دائما بالحرية المطلقة التي تركت لهم في مجال العبادة ... لم يكن هذا بدون شك هو السبب الوحيد الذي دفعهم إلى الانخراط في الطائفة الرحمانية ولكنه سيسهم في ذلك نوعا ما " كمال بوشامة : الجزائر أرض عقيدة وثقافة، تر ، محمد المعراجي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص ص156–157.

عليه المجتمع الفرنسي من تفوق وتطور بسبب اهتمامهم بالعلم ولكن هل كانت تعلم هذه الفئة أن التعليم الذي كانت تهدف إليه فرنسا هو نفسه الذي يتلقاه الفرنسيين أم كان هدفها من وراء ذلك كسب بعض العناصر الموالية لخدمة مصالحها وتوظيفهم لاستمالة الجزائريين؟

كان من بين المؤيدين للسياسة الفرنسية من الجزائريين"... رغبة بعض الولاة من العرب في تعليم أولادهم وبعثهم للمدارس...من غير تنبيهه ولا تحريض الدولة وإن كانوا في ضعف وقلة كما تحقق"[1]السيد الحسن بن عزوز الذي قام بتقديم مشروع اقترح فيه على ضرورة تعليم الجزائريين اللغة الفرنسية بتعيين أستاذ لذلك الغرض [2] ولم يكتف بعض الأعيان بالتأييد بل قام بعضهم بتحريض الجزائريين على إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية وذلك عن طريق إقناعهم بما كانوا ينشرونه في الجرائد وخاصة جريدة المبشر وكذا من خلال مؤلفاتهم نذكر على سبيل المثال السيد محمد السعيد بن علي الشريف الذي انتقد السكان " الذين يزعمون الخروج عن دينهم اذا تعلم صبيانهم في المدارس التي اعدها البايلك لهم وخصوصا اللسان الفرنساوي لاحتياجنا إليه " [3] ويواصل تبريره لضرورة تعلم اللسان الفرنسي لما فيه مصلحة للسكان إلى جانب تأكيده على عدم تنافي ذلك مع الدين[4]و هناك من أيد هذا التعليم ليتسنى للأبناء الحصول على الوظائف مستقبلا"ولما يتعلموا فنون العلوم تحصل لهم فوايد الحرف لينالوا الوضايف حسبما اجتهادهم في التعليم مع هذا كل ما يتعلموه يكون مؤسس على احترام دينهم وعوايدهم [كذا]"[5].

---

[1]- جريدة المبشر :ع 129، 15جنار 1853.

[2]-عميراوي: تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص139.

[3]- جريدة المبشر: ع 134، 30مارس 1853.

[4]-نفسه .

[5]- جريدة المبشر: ع 128، 1853

إذا كان غالبية الشعب الجزائري يرفض كل ما يتعلق بالاحتلال فإن هناك بعض الآخر يمجد أعمال فرنسا وخاصة في مجال التعليم وهذا ما يظهر في كتاب الشيخ محمود بن علي"... حيث إننا تحت حمايتهم[فرنسا]، ولا نفقه لسانهم فهذا هو غاية الحماقة و شدة البلادة مع أن الدولة لحنانتها سعت فيما ينفعنا بحسن رعايتها وأقامت مدارس في كل عمالة ، بل في كل قرية لتعليم اللغة والكتابة وغيرها من العلوم...كل ذلك شفقة علينا ولعلمها بجهلنا في تصرفات في أحوالنا الدنيوية"[1]، أليست هي سبب جهل الذي فيه أبناء الجزائر؟

ولسنا في مقام لإصدار حكم عليهم إن أخطئوا أو أصابوا في موقفهم هذا فقد يكون ذلك بجهل بعض الجزائريين لنوايا فرنسا أو بحسن ظن منهم ورغبتهم في تحسين أوضاع الجزائريين ، وتمكينهم من وظائف في المستقبل وربما انبهارهم بالحضارة الفرنسية التي كانت في تطور مقارنة بالجزائر، وهذا ما وصفه السيد ابن صيام ومحمد السعيد بن علي الشريف اللذان زارا فرنسا سنة 1852م وعندما عادا إلى الجزائر قاما بنشر رحلتهما وكل ما شاهداه هناك من خلال جريدة المبشر لسان حال الإدارة الاستعمارية

رغم اختلاف المواقف حول التعليم الفرنسي إلا أن غالبية الجزائريين ظلوا متمسكين بالمدرسة العربية الإسلامية من الرافضين للمدرسة الفرنسية بعد أن تبين لهم أن هدفها" تذويب الإنسان الجزائري ومحو شخصيته حتى يصبح كالسكران يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول"[2]

وعبرت عنه الأستاذة إيفون توران " وردً المسلمون الهدية المسمومة لصاحبها الذي قضى حوالي عشرين سنة (1830–1850م) يحدث المدارس فلا يجد لها تلاميذ... وأصبح الدين

[1]– بن علي الجزائري: مرجع سابق، ص95.

[2]– نفسه: ص79.

الإسلامي كالاسمنت يحمي من التفكك والاندماج "[1].

3-دور المؤسسات التعليمية الجزائرية في التصدي للتعليم الفرنسي :

بعد إخفاق المقاومة المسلحة في تحقيق الانتصار الذي طال انتظاره من السكان ظلوا متمسكين بالجانب الحضاري فلم يتنازلوا عنه للفرنسيين فظهرت عبقرية الشعب والإسلام في المقاومة[2]، فلم يستسلم و" لم يبق الجزائريون مكتوفي الأيدي إزاء تعليم أبنائهم الذي هو واجب مقدس بل تصرفوا بما في طاقتهم، فعلموهم في البيوت وفي الكتاتيب الباقية، وهاجروا بهم إلى المغرب وتونس وغيرها كما طالبوا السلطات الفرنسية أن ترخص لهم بفتح المدارس لأبنائهم..."[3]

إلى جانب علماء وشيوخ الجزائر الذين قاوموا منذ البداية السياسة التعليمية الاستعمارية والتي تبنها كل من المفتيان ابن العنابي و الكبابطي كما أسلفنا سابقا، فإن للأمير عبد القادر دور في إرساء معالم التعليم من خلال تنظيم التعليم والمعلمين وتخصيص لهم رواتب وذلك بهدف مقاومة الاستعمار وتجنيد الجزائريين للمقاومة [4] .

أخذت المؤسسات التعليمية على عاتقها المحافظة على المقومات الإسلامية:
المعمرات[5]والكتاتيب القرآنية: ومثلت هذه المجمعات التعليمية دور في الصمود ومواجهة

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، دار الهدى، الجزائر، 2005، ج،1، ص133.

[2]- بن علي الجزائري: مرجع سابق، ص 76.

[3]- المجاوي: إرشاد المتعلمين، مرجع سابق، ص14.

[4]- لقمان مغراوي: السياسة التعليمية لفرنسا الاستعمارية في الجزائر 1830-1962، فكر ومجتمع، ع 12، تصدر عن طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر 2012، ص100.

[5]- المعمرات: عبارة عن مؤسسات ثقافية لها شبه بالكتاتيب القرآنية أحيانا وبالزوايا غير الخلواتية أحيانا أخرى، وتنتشر في أرياف الجزائر وقراها الجبلية خاصة في منطقة جبال القبائل بالشرق الجزائري، ويحضر إليها التلاميذ والطلبة من كل =

سياسة التجهيل و التنصير وذلك من خلال تحفيظ القرآن الكريم للأطفال في مرحلتهم الأولى، حيث أصبحت أكثر نشاطا خاصة في الأرياف بعيدا عن أنظار الاستعمار، و حسب المؤرخ الفرنسي أجيرون فإن عددها بلغ سنة 1871م[1]حوالي 2000 يتلقى بها 27000 طفل أو 28000 حسب الأستاذ زرهوني [2] دروسهم عبر القطر الجزائري[3]،فكانت مانعا ضد الهجمة الفرنسية وحالت دون ذوبان الثقافة الإسلامية في ثقافة المستعمر وهذا ما يفسر انتشار حفظة القرآن الكريم بين الجزائريين[4].

و بدورها المساجد استمرت في إلقاء الدروس في كل جهات الوطن سواء في قسنطينة أو الغرب الذي مثلته كل من عائلة المجاوي وشعيب، فكانت تقوم بحلقات العلم بهدف مقاومة التجهيل المفروض عليهم والفرنسة والتنصير[5].

إلي جانب الكتاتيب قامت الزوايا بدور مهم في المقاومة والتي مثلتها كل من: (أنظر: ملحق رقم2ص102) زاوية أولاد جلال [6]:هذه الأخيرة لها دور كبير في تحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الشرعية، فقد كانت لشهرة صاحبها بالورع ونشر العلم وكذا قدرته على التأثير على مستمعيه، وعم نفوذ المناطق القريبة وأولاد نائل و السحارى الذين كانوا يزورون زاويته

=الجهات، وينقطعون فيها لحفظ القران الكريم وتجويده وترتيله ولتلقي بعض العلوم . يحي بوعزيز : مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1999، الجزائر 1999، ص130.

[1]– في حين يرى أستاذ سعد الله أن الإحصاء كان في سنة 1878م. تاريخ الجزائر الثقافي،ج3، مرجع سابق، ص51.

[2]– أنظر:زرهوني، مرجع سابق ، ص14.

[3]– agero: op.cit, p324.

[4]– خيثر: مرجع سابق، ص81.

[5]– مغراوي: مرجع سابق، ص 101.

[6]– أسسها الشيخ المختار بن خليفة الجلالي بقرية أولاد جلال ببسكرة. عبد العزيز شهبي : الزوايا والصوفية و العزابة و الاحتلال الفرنسي في الجزائر،دار الغرب للنشر والتوزيع،الجزائر،2007،ص32

بأعداد كبيرة فكان من بين الذين تخرجوا من هذه الزاوية الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي ، والشيخ محمد الشريف بن الأحرش والشيخ عطية النائلي [1] وبالإضافة لتلك الزاوية كانت هناك زاوية ابن داود [2]حيث عرفت شهرة في عهد الشيخ أحمد بن أبي داود، وقصدها الطلاب من كل مكان، وتخرج على يده الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، والشيخ محمد الديسي[3].

زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي [4]وكانت للزاوية دور كبير في إعداد العلماء الذين ما إن عادوا إلى قراهم و مداشرهم قاموا بنشر العلوم والمعارف، من خلال التعليم في الزوايا والكتاتيب...وقاوموا بذلك الحركة التبشيرية التي اشتد وطؤها في منطقة القبائل، وكانت هذه الزاوية تعنى بتحفيظ القرآن الكريم[5].

ومن جهته قام الشيخ محمد بن أبي القاسم ببناء زاوية الهامل[6]ومعهده فكان لكل من الزاوية الزاوية والمعهد دور في تكوين جيل من المتعلمين فكانت تستقبل في فترة ما بين 1883إلى 1885م بين 200إلى 300طالب سنويا،فقامت بذلك بنشر العلم ومبادئ الدين الإسلامي، ولم يكن بإمكان الاستعمار القضاء عليها[1].

---

[1]–منير القاسمي الحسني: زاوية الهامل التاريخ المصور، دار الخليل القاسمي، ط 1، الجزائر، 2007، ص39.

[2]– تقع في زواوه في ناحية أقبو ببجاية من أكبر الزوايا في الشمال . محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007 ،ج 1، ص58.

[3]–الحسني: مرجع سابق، ص38.

[4]–تقع هذه الزاوية بجبال جرجرة، في عرش يلولة، بولاية تيزي وزو، أسست سنة 1030هـ/ 1620م من قبل سيدي عبد الرحمن بن يسعد المصباحي الخردوشي اليلولي الزواوي توفي 1105هـ/ 1694م. شهبي: مرجع سابق، ص ص73–74.

[5]–نفسه: ص ص79 – 80 .

[6]– تقع في قرية الهامل في الجنوب الغربي لمدينة بوسعادة، قام بإنشائها الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي سنة 1280هـ /1863م . دبوز: مرجع سابق ، ص ص 56، 66.

مثلت بذلك المؤسسات التعليمية في الجزائر دور كبير في المحافظة على معالم الهوية العربية الإسلامية "التي إن لم تعطيهم علما نافعا في الدنيا، فإنها أشبعت نهمهم الروحي وظلت تربطهم بماضيهم... كان نوعا من التعليم المقاوم، أي أنه يمثل أساس إيديولوجية وطنية تقوم على رفض الوجود الاستعماري المتعالي"[2].

كما عملت على بعث التعليم وتكوين علماء وأساتذة كان لهم دور في الدعوة لتغيير واقع المجتمع الجزائري، على الرغم ما قام به الاستعمار من محاولات لاحتواء بعض الطرق الصوفية وخاصة مع نهاية القرن 19م، من خلال العمل على تجهيل السكان ونشر أفكار البدع والخرافات وإضعاف القضاء على المقاومة من خلال تشتيت صفوف الجزائريين، وكذا اعتبار الاستعمار قضاء وقدر لا تجب مقاومته، إلا أن بعض الزوايا التعليمية التابعة سارت عكس التيار وظلت محافظة على هدفها الأول والأساسي المتمثل في مقاومة المحتل سواء بالسيف أو القلم.

المبحث الثالث: بدايات الأولى للإصلاح في أواخر القرن 19م

إن الحديث عن الإصلاح في القرن 19م لا يزال محل نقاش وجدل بين المؤرخين فمنهم من يرى أنه لم يكن في الأصل أي إصلاح أو روح لهذه الفكرة، وذلك راجع لما كان يعيشه المجتمع الجزائر من جهل وعدم اهتمام بالعلم، مما ساهم في عدم ظهور نخبة قادرة على الأخذ بيده، إلا أن هناك من يرجح ظهورها مع نهاية القرن هذا ما سنحاول مناقشته في هذا المبحث.

[1]– شهبي: مرجع سابق، ص ص84–85.

[2]– سعد الله: أفكار جامحة، مرجع سابق، ص27.

1-إشكالية بداية الإصلاح:

أـ اليقظة أم الإصلاح:

لازال الجدل قائما فيما إن كان الوعي الذي ظهر مع أواخر القرن التاسع عشر يعني به الإصلاح أو اليقظة فإذا كان الأول يقصد به فكرة نسبية يختلف معناها حسب البيئات وفي الجزائر يمكن أن نطلق عليه أنه محاولة لإيقاظ المجتمع الجزائري من الجهل وإنقاذه من الفساد وهو بذلك بمثابة جواب على الاحتلال الفرنسي[1].

أما اليقظة التي يعبر عنها بالإصلاح التي عرفها الأستاذ المؤرخ سعد الله "هو شعور لا يعني العمل والإنتاج ولا الازدهار والانجاز العظيم، إنه مجرد فرك العينين وفتح النوافذ والتعرف على الأشياء"[2] ذلك أن الإصلاح لم يأخذ طابع ميداني في ذلك الوقت بل اقتصر على لفت انتباه الناس والفئة المتعلمة إلى ضرورة تغيير الواقع في انتظار تجسيده في الميدان من خلال إنشاء مدارس وزوايا وجرائد لذلك الغرض، وبذلك يمكن القول أن الإصلاح رافق وواكب حركة اليقظة وأن الاختلاف ليس إلا تبايناً في المصطلح.

ب-الإصلاح وإشكالية بداياته:

يرجع بعض الباحثين بداية نزعة الإصلاح إلى حمدان بن عثمان خوجة [3]غير أن ذلك لم يستمر ولم يكن له أثر في التحول لعدم توفر الجو وكذا تراجع صاحبها وهجرته إلى

---

[1]- علي أومليل:ماهو الإصلاح بمفهوم إسلامي؟ الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن19، أيام دراسة من23/20 أفريل 1993 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم7،المغرب،1993،ص ص26،24.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تيارات اليقظة والإصلاح في المغرب العربي، المصادر، مركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية، ع 8، 2003،الجزائر، ص92

[3]- كان حمدان خوجة يرى أن سر تخلف المسلمين في كثير من الميادين ناتج عن جهل سائر الملوك للقوانين وعن الجمود والتزمت، لذلك كان يدعوا إلى النضج والتحرر وإلى تطبيق المبدأ الأساسي الداعي إلى مسايرة العصر.إن مثل هذا =

اسطنبول سنة1836م،وحسب اعتقادنا واستنادا لما أقره الباحثون الذين أجمعوا على أن بداية الإصلاح كانت انطلاقا أو بدأت تتبلور خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر وهذا ربما ما يتجلى وبشكل واضح في كتابات الشيخ العلامة عبد القادر المجاوي و مصطفى بن الخوجة ما يؤكده كل من الأستاذ المؤرخ سعد الله في قوله" يخطئ كثير من الناس ، وحتى الباحثين حين يربطون ظهور حركة الإصلاح الديني والاجتماعي في الجزائر بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ذلك أن الدعوة إلى الإصلاح أقدم بكثير من تاريخ إنشاء جمعية ومن الممكن تتبع بذور هذه الدعوة في كتابات عبد القادر المجاوي في السبعينات من القرن الماضي[1]..."[2].

في حين يرى الباحث الأمريكي ألان كريستلو christelou " أن الجزائر لم تكن بمعزل عن البلدان الإسلامية الأخرى وأنها منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، كانت ميدانا لحركة إصلاحية نشيطة "[3].

لذلك يمكن القول حتى وإن كانت بدايات الإصلاح في أواخر القرن التاسع عشر محتشمة بحكم ما كانت تعيشه الجزائر، إلا أنه لا يمكن إنكار وجود البذور الأولى للإصلاح في الجزائر حتى وإن اقتصر ربما على الإرشاد وبعض المقالات والكتابات إلا أنه تمكن من بعث جيل جديد أخذ على عاتقه مواصلة العمل هذا ما نستشفه من قول العلامة ابن باديس في تأبينية الشيخ المجاوي رحمه الله"أيها الإمام الذي ببزوغ شمسه تمزقت سحب الجهل،

=الشعور وهذه الأفكار التي طرحها حمدان في ذلك الحين تجعل منه رائد للنهضة الوطنية وفي حركة التجديد والإصلاح" بوصفصاف وأخرون: معجم الأعلام، مرجع سابق، ص103.

[1]– أي القرن 19م

[2]– أبو القاسم سعد الله: تيارات اليقظة والإصلاح في المغرب العربي، مرجع سابق، ص32.

[3]– عبد الرزاق بلعباس : الشيخ عبد القادر المجاوي، الشيخ عبد القادر المجاوي، أعمال ملتقى وطني بتلمسان 28/27نوفمبر 2011 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ،الجزائر، 2011، ص86.

وبدت غرة القلم المعين، أنت الذي عانيت في سبيل إصلاحنا أتعابا طويلة...كنت مثالا لحسن الأخلاق...نبكيك بالدموع السحيقة ويبكيك القرطاس والقلم، نبكيك وتبكيك المنابر ودروس العلم والحكم، ونبكيك ويبكيك هذا القطر الحزين الذي غمرته بيض أياديك وغرر فضائلك الحسان"[1].

2- الأسباب الكامنة وراء ظهور اليقظة و الإصلاح:

إن ما كان يشهده العالم العربي والغربي من تغير وبالإضافة إلى ما كان يعيشه المجتمع الجزائري في ظل سلب كل مقومات السيادة وكذا تضييق الخناق على شخصيته الإسلامية ، بالإضافة إلى انطفاء وتراجع المقاومة المسلحة بعد 1871م، فكان كل ذلك سببا أدى إلى ظهور نخبة دعت إلى ضرورة السعي لتحسين أوضاع المجتمع،منهم من كان على الاستعداد للتغيير على الشاكلة الفرنسية متأثرا بما وصلت إليها حضارتها من تطور مثلها كل من ابن صيام ومحمد السعيد بن علي الشريف ومحمود ابن الشيخ علي الجزائري الذين كانوا يرون أنه على الجزائري الأخذ بمبادئ التقدم الذي تبنتها فرنسا واقتداء بالمصريين الذين أصبحوا أكثر احتكاكا بالفرنسيين خاصة في عهد محمد علي باشا...في حين يرى الآخر وجوب التغيير وفق مقومات المجتمع الجزائري في إطار الدين الإسلامي على غرار كل من الشيخ عبد القادر المجاوي، ومحمد بن مصطفى بن الخوجة وابن الرحال...

سنركز على الاتجاه الأخير الذي يهمنا في بحثنا أكثر من الأول والذي كانت له انعكاسات

وتواصل أفكاره التي أصبحت خلال الثلاثينات من القرن 20م أكثر نضجا من خلال تكاثف الجهود بتأسيس جمعية العلماء المسلمين 5ماي 1931

لقد كان للأوضاع التي يعيشها المجتمع الجزائري في ظل وطن سليب تعبث و تسيطر عليه

[1]-نقلا عن عويمر: مرجع سابق، ص ص77-78.

أيادي المستعمرين[1] فكل ذلك محل نقد و رفض من طرف تلك الفئة ، وبالإضافة إلى ذلك كان لحركة النهضة والإصلاح التي شهدها العالم العربي بالمشرق عامل مهم في توجيه الفكر الجزائري إلى منحاه الصحيح وخاصة الأفكار الإصلاحية التي كان الشيخ محمد عبده ورشيد رضا يعملان على نشرها، التي وصل تأثيرها إلى الجزائر عن طريق الحجيج والصحافة والمهاجرين خاصة إذا علمنا أن عائلة المجاوي ترتبط مصاهرة بالأمير عبد القادر وكذا مراسلات الشيخ المجاوي مع بعض علماء وفقهاء في المشرق على غرار الشيخ إبراهيم سراج المدني والسيد حامد سليق... [2] وفي نفس السياق كان بعض العاملين بجريدة المبشر التي كانت تعنى في إحدى جوانبها بأخبار المشرق [3]، فمن خلال ذلك كان المحررون بها على علم بكل ما يحدث هناك خاصة فيما يخص حركة الإصلاح وكان من بين المتأثرين بها الشيخ العلامة بن الخوجة "كان هذا الأخير متمسكا بالتراث العربي الإسلامي ومولعا بالإصلاح على طريقة الشيخ محمد عبده"[4].

3- المصلحون و الوسائل المتبعة لنشر أفكارهم الإصلاحية:

في الوقت الذي كان بعض رجال السياسة الفرنسيين وعلى رأسهم دو طو كفيل يرى أنه من المستحيل إصلاح المجتمع الجزائري " الذي يرى بأن السكان الأهالي (الجزائريين) وقد وصلوا إلى آخر درجات الفساد والنقص هم مستعصون إطلاقا عن أي إصلاح أو تقدم وأنه

---

[1]- سيف الإسلام: مرجع سابق، ص164.

[2]- عبد القادر قويع: عبد القادر المجاوي ونشاطه الإصلاحي،الشيخ عبد القادر المجاوي، أعمال ملتقى وطني بتلمسان 28/27نوفمبر 2011 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص29.

[3]- سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص83

[4]- نفسه : ص84.

بعيد عن تنويرهم ، فالأولى إكمال عزلهم عن الأنوار التي يملكونها ..."[1].

يظن البعض الآخر أن الجزائر أصبحت "مقبرة العلوم الإسلامية واللغة العربية " [2]كما سجله الشيخ العربي التبسي، فكان على الجزائر الانتظار بزوغ جيل جديد يحمل أفكارا جديدة مناهضة للواقع الذي فرضه الاستعمار بعد أن اتخذت ربما بعض الشخصيات العلمية في الجزائر التي لم يكن من ضمن مشاريعها مناهضة الاستعمار بل التعايش معه في نطاقه والتزام الحياد وهو ما عبر عنه الأستاذ سعد الله في قوله"ولو تأملنا في سيرته (أبي القاسم الهامل) وسيرة البوجليلي وسيرة الموسوم وعلي بن عثمان لوجدناهم من طينة واحدة في الذكاء والعلم والمناورة ليعيشوا مع العصر الذي وجدوا أنفسهم فيه وقد قدموا جميعا خدمة كبيرة للتعليم العربي ولكنهم لم يستطيعوا أن يخترقوا حدود الواقع ولا أن يتقمصوا هوية الشعب، رغم أن بعض الباحثين رأى أن موقفهم كان يمثل صمود ومقاومة الثقافة الوطنية، وكلهم عرفوا الفرنسيين عن كثب وخالطوهم"[3].

إلا أن هذا ما فتئ ينجلي خاصة مع ظهور نخبة من الجزائريين اتخذت جملة من الوسائل للتعبير عن أفكارها، وكان على رأس تلك المجموعة الشيخ عبد القادر المجاوي الذي كان سباقا في هذا المجال من خلال قيامه بطبع كتاب إرشاد المتعلمين في السبعينات، وكذا شرح لمنظومة العارف بالله سيدي محمد الإمام المنزلي في آداب المريدين...، فكان مبتغاه من وراء ذلك هو لفت انتباه المجتمع من الواقع خاصة في مجال التعليم " ولقد ساءني ما رأيت في هذا الزمان من فتور المعلمين والمتعلمين حتى أن أهل قطرنا من إخواننا المسلمين القسنطنيين والجزائريين و الوهرانيين قد تراكم عليهم الجهل ... وسبب ذلك عدم اعتنائهم

---

[1]– دو طو كفيل: مرجع سابق ، ص126.

[2]– نقلا عن بلعباس: مرجع سابق، ص85.

[3]– سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج3، مرجع سابق ،ص ص219–220.

بالعلوم التي بها تهذيب أخلاقهم وإصلاح منطقهم... أردت أن أجمع لهم رسالة في مبادئ بعض العلوم لتكون لهم تبصرة يهتدون بها إلى العلوم الشريفة وسميتها إرشاد المتعلمين"[1]ورغم المعارضة التي تلقاها الشيخ المجاوي من بعض المعلمين بالمؤسسات التعليمية الذين يقفون بالمرصاد لأي محاولة للتجديد والإصلاح إلا أنه واصل في منهجه ورد عليهم بأن تلك الاتهامات ما هي في الواقع سوى علة للوقوف في وجه الإصلاح لخدمة المصالح الاستعمارية[2].

بالإضافة لهذا فإنه يستشف من شرح المجاوي للمنظومة هو استنكاره لما وصلت إليه بعض رجال الطرقية في الجزائر محاولا من خلال ذلك شرح بعض الآداب التي يجب على المريد التزام بها وفق الشريعة الإسلامية ، وذلك بتنبيه الطرقيين وإعادتهم إلى السكة الصحيحة بعد أن دخلوا في ضلالات البدع والخرافات " يجعله وصلة المريد البصير فيه – إن شاء الله – يرقى درجة الكمال و ينتسق سلك عقد الرجال..." [3]ومن خلال ذلك يظهر جليا نوايا الشيخ المجاوي الإصلاحية من خلال دعوة المردين وأتباع الطرق " من أراد الانقطاع إلى الله تعالى وسلوك طريق القوم ... ويلقي نفسه لكامل الشيوخ أهل الذوق والتحقيق والعلم بآداب الطريق...مقتديا بالكتاب والسنة في كل أمر وفي هذا الطريق خاصة ويكون من أهل الاطلاع على أحوال أصحابه ظاهرا وباطنا الجلي منها والدقيق " [4] ونتيجة لدعوته لتصحيح الإيمان ومقاومة البدع والخرافات لقي إهانات من بعض الناس والإدارة الفرنسية التي طفقت تنقله من مكان إلى أخر أي من قسنطينة إلى العاصمة حتى تمنعه من بث أفكاره وكسب

---

[1]–المجاوي : إرشاد المتعلمين ، مرجع سابق ، ص29.

[2]– عويمر: مرجع سابق، ص77.

[3]– عبد القادر المجاوي : شرح الشيخ العلامة المجاوي لمنظومة العارف بالله سيدي محمد الإمام المنزلي في آداب المردين، بعناية عبد الرحمن دويب ، دار زمورة للنشر والتوزيع، طخ 2011، الجزائر 2011، ص11.

[4]– نفسه: ص36

السكان من حوله[1] فكانت ترى في كتاباته وخاصة كتابه إرشاد المتعلمين بأنه يمثل دعوة صريحة لليقظة والإصلاح وكشف بشكل غير مباشر للعالم العربي والإسلامي فشل سياستها التعليمية[2].

إلى جانب كتاباته التي برزت من خلالها روحه الإصلاحية كان الشيخ المجاوي مرشدا وواعظا في حلقات التدريس سواء في حاضرة قسنطينة أو في الجزائر، فكانت دروسه تعرف إقبالا كبيرا من قبل الطلبة وذلك راجع لأسلوبه المتميز في إلقائه لدروسه"وتميزت دروسه بالحيوية والحماس وغزارة العلم ، ومواعظه بالتأثير والفعالية ، لارتكازه على قوة الحجة في أسلوب تصويري دفاعي يجذب القلوب، ويستميل المشاعر والأحاسيس، وكانت الأوتار التي يضرب عليها بالخصوص في دروسه وخطبه ومحاضراته هي النهوض بالعلم والدين والوطن"[3]هذا ما شهد له به العلامة محمد الخضر حسين عند حضوره درس الشيخ المجاوي " تستحسن من دروس هذا الشيخ اقتصاره في كل فن على تقرير مسائل موضوعه وعدم خلط بعضها ببعض " [4] فكان كتابه إرشاد المتعلمين منهاجا جديدا للطلبة الجزائريين بما تضمنه من طرق تدريس حديثة تحررهم من التعليم القديم الذي يتميز بالسطحية واقتصاره على الحفظ دون التبحر في العلوم بالفهم والمناقشة[5]

نتيجة لذلك تخرج على يده علماء الذين زرع فيهم بذور الوعي و اليقظة" أن التعليم ليس بالقرطاس والقلم فقط، ولكن بالمثل الأعلى والكلمات المعبرة والتوجيه القويم والنصائح

---

[1]– بلعباس: مرجع سابق، ص86.

[2]– عويمر: مرجع سابق، ص ص87-88.

[3]–الصديق: مرجع سابق، ص42.

[4]– نقلا عن عبد المجيد بن عدة : دعوة عبد القادر المجاوي إلى نهضة أصيلة وعصرية، الشيخ عبد القادر المجاوي، أعمال ملتقى وطني بتلمسان 28/27نوفمبر 2011، منشورات وزارة الدينية والأوقاف، الجزائر،2011، ص 43.

[5]– عويمر: مرجع سابق، ص77.

الخالصة، وإذا كان الفرنسيون قادرين على مراقبة التعليم العربي الإسلامي... فإنهم غير قادرين على مراقبة التربية والتوجيه الصالح اللذين يبثهما المعلمون في تلاميذهم، ومن هؤلاء ستكون البذرة الخيرة للنهضة والحركة الإصلاحية" [1] وأعدهم بذلك لحمل المشعل الإصلاح على غرار ابن أبي شنب، وابن الموهوب، وابن الخوجة... [2] وإلى جانب الشيخ المجاوي كانت دعوة الشيخ المكي ابن باديس في الثمانينات من خلال كتاباته لإصلاح القضاء فكان من بين أحفاده الذين حملوا راية الإصلاح حميدة بن باديس ، وعبد الحميد بن باديس [3]

ومن جهة أخرى كان الشيخ بن الخوجة من المتأثرين بفكرة الإصلاح في المشرق ، فكان من الداعين إلى تحسين أوضاع المجتمع الجزائري وخاصة أوضاع المرأة التي لازالت تقبع تحت ظلال الجهل والخرافات التي نسجت خيوطها على أفكارها البسيطة، ولم يكن نتاج ذلك إلا لعدم تعلمها ولتقاليد المجتمع التي جعلت من المرأة كأداة في البيت للقيام بواجبات منزلية ، فكانت دعوة ابن الخوجة لمنح المرأة كامل حقوقها وذلك من خلال رسالته "الاكتراث بحقوق الإناث" فقد بقيت النساء كأنهن لسن مكلفات حتى أصبحن لا يفرقن بين الحلال والحرام "[4] محملا بذلك الرجال المسؤولية التي وصلت إليها المرأة ، منتقدا بعض التصرفات التي يقوم بها سواء الرجال أو النساء وذلك لجهلهم " ولكن لولا جهل الرجال وغباوتهم لما وصلت النساء إلى هذه الدرجة من الجهل والزيغ والضلال ، كالاستفهام عن المغيبات والاستشفاء والتبرك بأرباب الجنون والفسوق والفجور، وتقديم النذور لهم من الدراهم والذبائح والشموع والبخور، مع أن ذلك ولو لضرائح الأولياء الكرام ، باطل وحرام بالإجماع ، ومن العجب العجاب أن بعض الرجال الذين يدعون أنهم من الأكابر الأعيان يفعلون مثل ذلك،

---

[1]– سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص20.

[2]– سعد الله: أفكار جامحة، مرجع سابق، ص32.

[3]–نفسه: ص32.

[4]– بن الخوجة: مرجع سابق، ص74.

نعوذ بالله من الجهل كم فيه من أخطار وأضرار" [1] وعليه فإن ابن الخوجة كان من أوائل الذين دعوا إلى تغيير واقع المرأة من خلال تعليمها لأن جهلها سبب انحرافها نحو الخرافات التي لم يسلم منها الطرف الآخر أي الرجل وذلك بسبب جهلهم.

ومن جهته ابن الرحال كان من الأوائل الذين دافعوا عن التعليم القرآني و اللغة العربية التي أصبحت غريبة في الجزائر، وكذا انتقد التعليم الفرنسي الذي اعتبر أنه لا توجد جدوى من تعلمه ، في حين رأى من الضروري تعليم القرآن في كل مكان سواء في المدن أو الأرياف ، لأن به تكتمل صورة الإنسان المسلم و به تهذيب الأخلاق [2] في نفس السياق استغل هذا الأخير انعقاد مؤتمر المستشرقين سنة 1897م بباريس ليعبر عن نواياه الهادفة إلى التجديد وفق المنظور الإسلامي" لا يجب أن نقبل بعيون مغمضة ما تقدمه لنا الحضارة إن كثيرا من هدايا ... يمكن تركها ... ولكن الكثير منها يمكن استعارته دون خطر ومن أجل إفادتنا الكبرى. ويمكننا تبني في كل ميدان العلوم الصحيحة" [3] وبذلك فهو يؤكد أن سبب نهضة المسلمين تكمن بالالتزام الاعتدال وعدم التعصب. ويواصل السيد ابن رحال انتقاده للوضعية التي آل إليها المجتمع الجزائري " إن ما يشوه المجتمع الإسلامي اليوم هو جهله العميق ، ليس قط[فقط] جهل الفنون والعلوم الحالية بل كذلك دينه وبنفس المقدار – إذا استثنينا بعض الممارسات الخارجية وبعض المعتقدات الأساسية ، تتحول العبادة إلى طائفة من الأخطاء والأفكار الموروثة والخرافات وهكذا كل ما يأتي من الخارج عرضة للحذر الذي لا مبرر له، ولتحريم لا منطقي ومجادلات قد لا تتنكر منها بيزنطة" [4] وبذلك فإن السيد بن

---

[1]–بن خوجة: مرجع سابق، ص83.

[2]– عبد المجيد بن عدة : المثقف الثائر سي محمد بن رحال1857–1928م، حولية المؤرخ ، إصدار اتحاد المؤرخين الجزائريين، ع 5، 2005 ، الجزائر، ص ص157–158.

[3]– جغلول: مرجع سابق، ص 681

[4]–نفسه: ص680

رحال يعد من القلائل الذين تتلمذوا على يد الإدارة الفرنسية وثاروا على الواقع المفروض على أبناء وطنهم وهو الذي استقال من الوظيفة الحكومية، لا لشيء ربما إلا ليكون حرا في اتخاذ قراراته دون أي ضغط.

عموما يمكن القول حتى وإن انحصرت بداية الإصلاح بصورة محتشمة وحذرة [1]من كتابات أو دروس للوعظ أو حتى عن طريق خطابات [2]، فإنه كان حتما بداية لعهد جديد ينم عن مواكبة الجزائر وعلمائها لركب النهضة الحاصل في العالم الإسلامي والغربي.
وفي السياق يظهر أن أهم تحول تسجله الجزائر المستعمرة خلال القرن 19م هو تغير نظرة الفئة المثقفة من مجرد الاستنكار وتقديم العرائض إلى الانتقال لمرحلة جديدة والمتمثلة في انطلاق من مجالس العلم بين أوساط التلاميذ والسعي لإحداث نقلة من عمق المجتمع الجزائري بزرع بذور الإصلاح ورفض الواقع المسلط على الجزائريين سواء بالأفكار أو عن طريق النصح والإرشاد .

لقد أحدث الاحتلال الفرنسي للجزائر تدهورا في مختلف الجوانب وخاصة الجانب الثقافي باعتباره مرجعية السكان للمقاومة والصمود أمام الاستعمار وسياسته، فإذا كان الإنتاج الثقافي في الجزائر تميز بالضعف واقتصاره على الجوانب التاريخية، فإنه مع نهاية القرن تحولت نظرة الكتاب من مجرد سرد الأحداث إلى معالجة بعض القضايا التي أصبحت حديث الساعة أنذاك وخاصة مع تأثير حركة الإصلاح في المشرق العربي.

---

[1]–لأنه كان صادر من أناس أغلبهم مدنيين للإدارة الاستعمارية بوجودهم .سعد الله: أفكار جامحة، مرجع سابق، ص33.
[2]–نفسه: ص33.

خـــاتـــمـــة

خـــــاتمـــة:

بعد معاينتنا للتحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها الجزائر في فترة البحث توصلنا إلى النتائج التالية:

-أن الأوضاع الاجتماعية في الجزائر أواخر العهد العثماني على الرغم من التدهور الذي عرفته إلا أن السكان ظلوا متمسكين بالوحدة في ظل وجود قوة روحية قوية مثلها الدين الإسلامي وكذا روح القبيلة التي ميزت الأرياف وذلك راجع لعوامل تكوينه وتركيبته المشتركة التي يغلب عليها الطابع الإسلامي، غير أن هذا ما فتئ أن زال بزوال أحد مركباته ودخول عناصر جديدة تختلف عنه في عدة نقاط سواء ما تعلق بالدين واللغة والثقافة مما أحدث اختلالاً في توازن البنية الاجتماعية.

- في الوقت الذي بدأت الشعوب والأمم تأخذ بعوامل النهوض كانت الأمة الجزائرية سائرة نحو تحول معاكس للواقع نتيجة لسيادة فكرة الاستعمار القوي للضعيف فكان الجزائري أول المستهدفين في عمق تفكيره ووحدته.

- لقد كان من أولى انعكاسات السياسة الاستعمارية على المجتمع تفكيك روابطه الاجتماعية وبنياته القبلية التي أحدثت تحولاً في العلاقات الاجتماعية بين السكان مما أدى إلى غياب روح الجماعة وبروز الروح الفردية والتي كانت تهدف إليها حقيقة الإدارة الفرنسية من أجل القضاء على كل مظاهر التعاون التي تميز السكان.

- أصبح الأوروبيون بعد الاحتلال وفتح أبواب الهجرة والاستيطان يشكلون نسيجا اجتماعياً جديداً سعوا من خلاله إلى فرض عقيدتهم وثقافتهم المختلفة واحتلالهم للأرض بالقوة غير أن هذا لم يكسبهم الشرعية لاحتلال العقول الجزائرية التي بقيت صامدة رغم قوة التيار المسيحي المغري بعروضه الظاهرة و القاتل بأفكاره المدمرة لكل ما هو إسلامي خالص.

– رغم محاولات فرنسا استمالة بعض الجزائريين وتهجير بعضهم الأخر أو إجبارهم على الهجرة، إلا أنها لم تفلح في تثبيت أهدافها لأن الجزائري الذي رأى بالأمس سلب معالمه وأراضيه لن ولا يقبل أن تقوده الآلة الاستعمارية نحو الانسلاخ عن مجتمعه وثقافته.

– إن تغييب المرجعيات العلمية والدينية المؤثرة في المجتمع الجزائري و كذلك محاولات فرنسا تغييب الدين الإسلامي من خلال عملها على تنصير السكان واستغلالها للأوضاع المزرية التي كان يعيشها السكان لم يساعدها في تثبيت وجودها على أرض الجزائر، لأن الدين الإسلامي كان دائما الحامي والواقي لهذا المجتمع.

ـ ساهمت مجموعة من العوامل في إحداث هزات عنيفة على الوضع الثقافي في الجزائر فكان على رأسها الاستعمار الفرنسي الذي أحدث بلبلة في مختلف جوانبها فكان إفراغ المجتمع من عناصره القيادية أولى مراحلها التغلغل في أوساطه وإحكام قبضته عليه إلا أن توفر العامل الديني أعطى دافعا قويا للصمود في وجه الاحتلال .

– إن المتعلم الجزائري في فترة الاحتلال رغم تشديد وتضييق الخناق عليه في كل ما من شأنه أن يساهم في نشر الوعي بين السكان إلا أنه لم يعر للاستعمار أي أهمية وذلك من خلال الانطلاق في تدوين أفكاره انطلاقاً من واقعه بعيدا عن الفكر التقليدي الذي كرس لفكرة سرد الأحداث التاريخية، وذلك بالتطرق لمواضيع جديدة من حيث الطرح نتيجة لما كان يشهده العصر من تغير سواء عربيا أو أوربيا.

– نظرا لما لحق بالمؤسسات التعليمية من جراء الاحتلال والذي كان له انعكاسات في تراجع عدد العلماء في الجزائر إما بسبب النفي أو الهجرة أو حتى الانزواء وطلب العافية،إلا أن هناك من كان له نظرة مناهضة للواقع وذلك باتخاذ على عاتقه إعادة الاعتبار للمؤسسات التعليمية الإسلامية والوقوف في وجه الاحتلال وذلك بفتح مؤسسات جديدة.

– بعد أن كان التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي يغلب عليه الطابع الديني أصبح بعده تعليما عربيا وفرنسيا مختلفان شكلا ومضمونا.

– على الرغم من أن التعليم العربي الإسلامي اقتصر في أغلب الأحيان على تحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية،إلا أنه تمكن من حفظ الهوية العربية الإسلامية والصمود في وجه الثقافة والحضارة الفرنسية ونوايها في مسخ الهوية الجزائرية.

– كان الدين الإسلامي صمام الأمان للتمسك بالأرض والثقافة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي ومنطلقا للتجديد ورفض الواقع، فكانت مساهمة النخبة أو الفئة المثقفة من العلماء الجزائر في زرع بذور اليقظة و النهوض في أوساط المجتمع الجزائري، التي قادها شيخ النهضة عبد القادر المجاوي وآخرين.

– إن المتعلم في الجزائر رغم الجو المحيط به وبالسكان الذين أصبحوا تحت تأثير البدع والخرافات التي كرستها بعض الطرقية، إلا أنه ظل يسعى للتغيير وحافظ على مكانته وقوته في التأثير متخذا من مجالس العلم منطلق لنشر أفكاره التجديدية ومحاربة التعصب والتزمت بالآرائه و الأفكاره.

الـــمـــلا حـــق

الملحق:رقم 01.

نموذج لبعض العائلات الجزائرية التي تعرضت للتهجير.

قائمة باسماء الاهالي من اولاد عبدي ، الذين قدم فى شانهم طلب ابعادهم الى كورسيكا

الجزائر
قسمه قسنطينة
شعبة باتنة
دائرة باتنة العسكرية

الاسـم	القـرية	مكان الأبعاد	ملاحظـات
سي الهاشمي بن مدروسة سي علي بن دردور		كورسيكا	شيخ زاوية دينية ، تابعة للطريقة السنوسية ، وقد كون لنفسه أتباعا كثيرين ، يحرضهم يوميا على عصيان سلطتنا . فهو يشكل خطرا على الامن العام ، يوصي بنفيه الى أبعد مكان ممكن عن بلده الأصلي .
عمر بن يوسف	حيدوسة	كورسيكا	مقدم المرابط سي الهاشمي . شخص له نفوذ فى حيدوسة ، متفان فى خدمة شيخه . يوصي بنفيه الى كورسيكا .
محمد أمزيان بن حالحوة نارة		كورسيكا	مقدم المرابط سي الهاشمي بحاله حوة . وقد كسب أتباعا كثيرين فى هذه القرية للحركة التي يمثلها . يوصي بنفيه الى كورسيكا .
بوبكر بن خالد	تلات	كورسيكا	مقدم سي الهاشمي ، ليس له ارادة أخرى غير ارادة سيده ، وهو مرتبط كليا بحركته . ونفوذه كبير بقرية تلات .

باتنة فى 7-1-1880

اللواء قائد الشعبة العسكرية

عبد الحميد زوز: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1900)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر، 2009، ص 194.

الملحق رقم 2:

جدول يبين بعض الزوايا التي واصلت أداء وظيفتها التعليمية في الجزائر خلال الفترة الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر.

الزاوية	مقرها	مؤسسها	سنة التأسيس
سيدي بوعبد الله الحمامي	الحمام (الأخضرية)	بن عمر الحمامي	ق 13هـ/19م
ابن سحنون	تغراست(اغزارامقران)	محمد السعيد امقران بن سحنون	ق 13هـ/19م
سيدي الصادق بلحاج	سيدي مصمودي	سيدي الصادق بلحاج	ق 13هـ/19م
عين ماضي	عين ماضي	أبو العباس أحمد التيجاني	ق 19/13م
التجانية	تماسين(تقرت)	...	ق13 /19م
العثمانية	طولقة	سيدي علي بن عمر	ق13 /19م
المختارية	أولاد جلال	المختار بن عبد الرحمان	1227هـ/1812م
سيدي ابن عبد الله	معسكر	سيدي ابن عبد الله	1267هـ/1850م
سيدي البودالي	أولاد سيدي إبراهيم	سيدي البودالي عبد القادر	1277هـ/1860م
بلعمش	تندوف	محمد المختار بن الأعمش	1277هـ/1862م
الهامل	بوسعادة	محمد أبو القاسم القاسمي الحسيني	1279هـ/1862م
الشيخ ابن شرقي بونجار	العطاف	الشيخ ابن شرقي بونجار	1280هـ/1863م
الشيخ الحواس	عين ولمان	الشيخ الحواس	1287هـ/1870م
الشيخ حاج الجيلالي	مستغانم	الشيخ مصطفى العلوي	1287هـ/1870م
القادرية	أولاد جلال	الشريف بن ابراهيم الهاشمي	1287هـ/1870م
الشيخ مرايمي	بوراشد	الشيخ مرايمي بلقاسم	1298هـ/1880م
الشيخ سيدي مصطفى بني رمضان	بوطاية	مصطفى بن رمضان	1298هـ/1880م
المحمدية التيجانية	المحمدية		1306هـ/1890م
الشيخ سيدي بن أحمد	بوراشد	الشيخ سيدي بن أحمد	1310هـ/1892م
ابن سيدي عيسى جلول	جندل	ابن سيدي عيسى جلول	1313هـ/1895م
سيدي التاج	رأس المال	التاج بلحرمة	1316هـ/1898م
الشيخ الحفناوي	الناظور بني مزلين	الشيخ عمارة بالديار	1318هـ/1900م

- عبد العزيز شهبي:الزوايا والصوفية و العزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر،2007،ص ص 25، 29- 33.

قــائـمــة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1-المصادر:

أ- الكتب:

1- بفايفر(سيمون): مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتعليق أبو العيد دودو،دارهومة، الجزائر2009 .

2-الحسيني(محمد بن عبد القادر الجزائري): تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،المطبعة التجارية غرزوزيوجاويش،القاهرة، 1903، ج2 .

3-الحسيني (الجزائري عبد القادر): رسالة إلى الفرنسيين ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تحقيق عمار طالبي، منشوراتANEP ،2005.

4-الحفناوي (أبي القاسم محمد): تعريف الخلف برجال السلف، طبع بمطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر 1906.

5-الحفناوي (أبي القاسم محمد): تعريف الخلف برجال السلف، دراسة وتحقيق خير الدين بن شترة ، دار كردادة للنشر والتوزيع، ط 2 ، الجزائر ،2012 .

6ـ خوجة (حمدان بن عثمان): المرآة،تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري،منشورات ANEP ، الجزائر ،2005 .

7- ـــــ :إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم ، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، دون تاريخ.

8- بنالخوجة(محمد بن مصطفى): أعمال كاملة محمد بن مصطفى بن الخوجة،منشورات ثالة ، الجزائر2012.

9-دو طو كفيل (ألكسي): نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال و الاستيطان، تح قيق إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

10-الديسي (محمد بن عبد الرحمن الجزائري): مناظرة بين العلم والجهل، تح قيق محمد شايب شريف، منشورات ثالة ، الجزائر 2013 .

11-الزبيري(محمد العربي): مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة وبضربة،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر،1981.

12-الزهار(الشريف):مذكرات شريف الزهار نقيب الأشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني، دار البصائر، الجزائر،دون تاريخ .

13-شالر(وليام): مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للشر والتوزيع، الجزائر،1982.

14-بن الشيخ علي (الجزائري محمود):كتاب نصيحة عمومة لأهل الحضر والبادية ، تقديم وتحقيق ابن الحاج همال الجزائري، دار ابن حزم، ط1، الجزائر2008.

15- العنتري (صالح): تاريخ قسنطينة، مراجعة وتحقيق يحي بوعزيز ،دار البصائر، طخ، الجزائر ،2009.

16- ـــــ: مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1974.

17-المجاوي (عبد القادر): إرشاد المتعلمين، تحقيق عادل بن الحاج همال الجزائري، دار زمورة للنشر والتوزيع ، طخ ، الجزائر،2011 .

18-ـــــ: شرح الشيخ العلامة المجاوي لمنظومة العارف بالله سيدي محمد الإمام المنزلي في آداب المردين، بعناية عبد الرحمن دويب، دار زمورة للنشر والتوزيع، طخ 2011 ، الجزائر، 2011.

ب- الجرائد:

[1]- المبشر: العدد 128، 1853.

2- المبشر: العدد129، 15جنار 1853.

3- المبشر: العدد134، 30مارس 1853.

2-المراجع:

أولا-الكتب:

أ -باللغة العربية:

1- الأشرف (مصطفى): الجزائر الأمة والمجتمع، تحقيق حنيفي بن عيسى، دار القصبة ، الجزائر،2007 .

2- أمطاط (محمد): الجزائريون في المغرب مابين 1830-1962 ، مساهمة في تاريخ المغرب العربي الكبير، تقديم محمد كنبيب، دار أبي رقراق، ط 1، دون بلد النشر،2008.

3- بقطاش (خديجة): الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871،دحلب،دون بلد النشر، دون تاريخ.

4-بوشامة (كمال): الجزائر أرض عقيدة وثقافة، ترجمة محمد المعراجي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007 .

5-بوصفصاف (عبد الكريم)،سكفالي(عبد الرحيم) ،الخمري(الجمعي)،ذراع(الطاهر،معاشي (جميلة)وشرقي(محمد): معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2002،ج2.

6-بوضرساية(بوعزة): سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة،الجزائر،2010 .

7- بوعزيز (يحي):سياسة التسلط الاستعماريو الحركةالوطنية الجزائر 1830-1954، ديوان المطبوعات لجامعية ،الجزائر،2007.

8-ـــــــ:كفاح الجزائر من خلال الوثاق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طخ ، الجزائر ،2009.

9-ـــــــ:مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط1999، الجزائر 1999.

10-ـــــ: موضوعات وقضايا من تاريخ المغرب،دار الهدى، الجزائر، دون تاريخ،ج1.

11- بلاح (بشير)،لونيسي(رابح)عبدوس(عبد الحميد)،سفير (لخضر): تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1989، دار المعرفة، الجزائر،2007، ج1.

12- توران (إيفون): المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة (المدارس والممارسات الطبية والدين 1880/1830)، تر جمة محمد عبد الكريم أوزغلة، المراجعة و الإشراف مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005 .

13-جغلول (عبد القادر):أعمال عبد القادر جغلول علم الاجتماع التاريخي والثقافي المتعلق بالحركة الوطنية والثورة، ، ذاكرة الناس، الجزائر، 2013،م ج 2.

14- حسن إسماعيل (أحمد سميح): الاستيطان اليهودي في الجزائر 1830-1919، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2014 ، ج 1.

15- الحسني (منير القاسمي):زاوية الهامل التاريخ المصور، دار الخليل القاسمي، ط 1، الجزائر، 2007 .

16- حلوش(عبد القادر): سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2013.

17- خرشي(جمال):الاستعماروسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830-1962، ترجمة، عبد السلام عزيزي ، إشراف ومراجعة مصطفى ماضي، دار القصبة،الجزائر، 2009 .

18- الخالدي(سهيل): دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق العربي 1847-1947 م، دار هومة ، الجزائر،2013.

19- دبوز(محمد علي): نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، سحب الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007 ،ج 1.

20- الدراجي (بوزياني): ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

21-بن داهة (عدة):الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر1830-1962، طخ بوزارة المجاهدين، الجزائر 2008، ج2.

22- (الزبيري) محمد العربي : التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، دون تاريخ.

23- زمولي (يسمينه):الألقاب العائلية في الجزائر من خلال قانون الحالة المدنية أواخر القرن 19 ،1870-1900م قسنطينة نموذجا ، دار البصائر، ط1،الجزائر،2007.

24- زوزو (عبد الحميد): الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837-1939 ، دار هومة ، الجزائر ، 2009،ج1.

25- ـــــ : الثقافة والتعليمان الحر و الرسمي في العهد الفرنسي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر2017.

26- ـــــ :نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر 2009 .

27- سبنسر(وليام):الجزائر في عهد رياس البحر،ترجمةعبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر2007 .

28- سعد الله (أبو القاسم): أفكار جامحة ، عالم المعرفة،طخ 2011،الجزائر 2011.

29-ـــــ:تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 ، عالم المعرفة ، طخالجزائر ،2011، ج1،ج2،ج3 .

30- ـــــ:الحركة الوطنية ، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، لبنان 1992،ج1.

31- ـــــ:محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، دار رائد، الجزائر،2009.

32- سعيدوني(نصر الدين): تاريخ الجزائرفي العهد العثماني، دار البصائر،ط 2، الجزائر 2013 .

33- ـــــ:تاريخ الجزائر في العصر العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، دون تاريخ.

34- ـــــ: الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية ، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، دون بلد النشر، 2000.

35- ـــــ: عالم القرن التاسع عشر،عصر الأمير عبد القادر، البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2012 .

36-ـــــ:النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، الجزائر، 1985.

37- سعيدي (مزيان): النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867- 1892م، دار الشروق للنشر والتوزيع،ط1، الجزائر 2009

38- السويدي (محمد): مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1984.

39- سيفالإسلام (الزبير): تاريخ الصحافة في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984 ،ج5.

40- شهبي(عبد العزيز): الزوايا والصوفية و العزابة و الاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع،الجزائر ،2007 .

41- شاوش (محمد بن رمضان)والغوثي (بن حمدان): إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر أو الأدب العربي الجزائري عبر النصوص ، دار البصائر، الجزائر، 2011 ، مج02.

42- الصديق (محمد الصالح):أعلام المغرب العربي، موفم للنشر، ط 2، الجزائر، 2008، ج

43- صاري (الجيلالي): تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962م، ترجمة قندوز عباد فوزية ، دار غرناطة، طخ، الجزائر، 2010.

44- ـــــ:الكارثة الديمغرافية 1867م-1868م، تر جمة، عمر المعراجي، منشورات ANEP، طخ،الجزائر، 2008.

45- طرشون (نادية)، يحياوي (جمال)،الخالدي (سهيل): الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر 2007.

46- عباد (صالح): الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830،دار هومة،ط2،الجزائر،2007.

47- عبد القادر (نور الدين): صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد العثماني،دار البصائر، الجزائر ،2006.

48-عباس (إبراهيم محمد): الثقافة الشعبية الثبات والتغير ، دار المعرفة الجامعية، دون بلد النشر، 2013.

49- العقاد (صلاح): المغرب العربي الكبير في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى، مكتبةالأنجلومصرية، ط 6 مزيدة ومنقحة ، مصر،1993.

50-عميراويإحميده: تاريخ الجزائر الحديث ، دار الهدى، ط2، الجزائر،2004.

51- ـــــ،السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844- 1916، دار الهدى، الجزائر، دت.

52- الغربي (غالي) لونسي(إبراهيم) تلمساني (بن يوسف) بوجلة(عبد المجيد): العدوان الفرنسي على الجزائر-الخلفيات والأبعاد- ، دار هومة ، طخ ، الجزائر،دت .

53- غربي(كمال): المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية،ذاكرة الناس للنشر، الجزائر . 2012

55-غطاس(عائشة):الحرفوالحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية اقتصادية، منشوراتANEP،الجزائر 2007.

56- كاتب(كمال): أربيون أهالي ، ويهود بالجزائر 1830-1962م تمثيل وحقائق السكان ، ترجمة ، رمضان زبدي ، دار المعرفة، طخ، الجزائر ،2011 .

57- المدني(أحمد توفيق): هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،2001.

58- مهساس(أحمد): الحقائق الاستعمارية والمقاومة،دار المعرفة،الجزائر ،2007 .

59-بن نبي (مالك): مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر،ط 4، دون بلد النشر، 1984.

60-نويهض(عادل): معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2 مزيدة ومنقحة ، لبنان، 1980.

61-هلال(عمار): الهجرةالجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918م،دارهومة الجزائر،2007.

62- وعلي(محمد الطاهر): التعليم التبشيري في الجزائر (1830إلى 1904)دراسة تاريخية تحليلية ، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009 .

63- يعيش(محمد): الجالية الجزائرية في المغرب الأقصى ودورها في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1930-1962، دار الهدى، الجزائر،2013.

ب - باللغة الفرنسية:

1-Ageron(Charles-robert:) les algeriens musulmans et la France 1871- 1919 ,acheved imprimer sur les presses ENA , Algérie, 2013.

2-ferhat(abbas): la nuit coloniale, Editions ANEP, Alger, 2009 .

3-Charles (André julien :)histoire de lAlgérie contemporaine la conquête et les de buts dela colonisation) 1827 1871,) Cat ouvrage a été réalise alise casbah Editions, Algérie 2005.

4-kaddach(Mahfoud):L'algérie des algériens de la préhistoire a 1954 ,achevé d imprimer sur les presses enag , Algérie 2009 .

5-Sari (Djilali) : l'insurrection de 1871tous droits de reproduction d adaptation et de traduction a assures pour tous les pays , s. n. e , Alger 1972 .

ثانيا:الدوريات

1- بوعزيز (يحي):المجاعة بالجزائر أواخر الستينات من القرن 19 ومواقف وأراء الجزائريين من ادعاءات الفرنسيين حول أسبابها ، مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ع 33 ،2011 ، الجزائر.

2- تيته(ليلى):تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ع 17 ، 2014، الجزائر.

3-سعد الله (أبو القاسم):تيارات اليقظة والإصلاح في المغرب العربي ، المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية، ع 8، 2003، الجزائر.

4- سعيدوني(نصر الدين): الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لولايات الغرب العثماني (الجزائر، تونس، طرابلس، المغرب)، من القرن (10 إلى 14 هـ / 16 إلى 19م)، حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية، رقم 31، جامعة الكويت، الكويت، 2010.

5- بن عدة (عبد المجيد):المثقف الثائر سي محمد بن رحال 1857-1928م، حولية المؤرخ، ع 5، إصدار اتحاد المؤرخين الجزائريين،2005، الجزائر.

6- غطاس (عائشة):أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني المجاعات الأوبئة (1787-1830)،المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية،ع 17 و 18،منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، 1998،تونس.

7–مغراوي لقمان :السياسة التعليمية لفرنسا الاستعمارية في الجزائر 1830–1962، فكر ومجتمع، ع 12، تصدر عن طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع،2012، الجزائر.

ثالثا–سلسلة الملتقيات:

1–الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن 19، أيام دراسة من 23/20 أفريل 1993 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم7،المغرب،1993:

–أومليل علي: ماهو الإصلاح بمفهوم إسلامي؟.

2– أعمال الملتقى الوطني الأول حول الهجرة إبان مرحلة الاحتلال 1830–1962، يومي 30–31أكتوبر 2006، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007:

–سعد الله (أبو القاسم): هجرة بعض الأعيان الجزائريين(1830–1848).

3– سلسلةأعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الهجرة، الجزائر 2010، الهجرة الحراك والنفي وأثارها على الصعيد الثقافي واللغوي:

–بوزيان(نصر الدين: الهجرة الجزائرية لسوريا في القرن 19 وأثرها السياسي و الإعلامي

– عمري (الطاهر): تأثر بنية المجتمع الجزائري بالتهجير والهجرة مع بداية الاحتلال .

فيلالي (كمال): الهجرة القبائلية إلى بلاد الشام على إثر ثورات المقاومة وأثرها الثقافي والحضاري.

– كعوان (فارس): هجرة الأسرة المشرفية إلى المغرب الأقصى في عهد الاحتلال وإسهاماتها الثقافية.

4– سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في التاريخ الماضي والحاضر أعمال ملتقى العلمي الأول 2008، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، قسنطينة، 2009:

–ثنيو(نور الدين): هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي بين السياسة والدين

5- الشيخ عبد القادر المجاوي: أعمال ملتقى وطني بتلمسان أيام 3/2محرم 1433هـ الموافق ل28/27نوفمبر 2011، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر، 2011:

- بلعباس(عبد الرزاق):الشيخ عبد القادر المجاوي.
- بن عدة (عبد المجيد): دعوة عبد القادر المجاوي إلى نهضة أصيلة وعصرية.
- عويمر(مولود): الشيخ عبد القادر المجاوي وكتابه إرشاد المتعلمين.
- قوبع(عبد القادر): عبد القادر المجاوي ونشاطه الإصلاحي.

6-الهجرة الحراك والمعالم الحضرية في الجزائر أعمال الملتقى العلمي الأول، مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة عمارة مخابر العلوم الإنسانية، الجزائر،2011.

-شمبازي(محمد): المحتشدات في الجزائر عملية تهجير قصريه لغايات عسكرية

رابعا-الرسائل والأطروحات الجامعية:

1- دحماني توفيق: الضرائب في الجزائر(1206-1282هـ/1792-1865)، دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،قسمالتاريخ،جامعة بن يوسف بن خدة، 2007-2008،ج1.

2- شويتام(أرزقي):المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2005- 2006.

3- قشاعي مساوي (فلة): الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وفي أوائل الاحتلال (1518- 1871) أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر،قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ،2003-2004.

4_بوحجر(عثمان): الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830 مقاربة اجتماعية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،قسم التاريخ وعلم الآثار ،جامعة وهران 1 أحمد بن بله ،2014-2015.

5- دهنون (نجاة): التشريعات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها على المجتمع الجزائري، مذكرة مكمل لنيل شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، تخصص حديث ومعاصر، 2016.

6_صحراوي(فتيحة): الجزائر في عهد الداي حسين 1818- 1830م رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ،جامعة الجزائر ، 2010-2011.

7- مجهول :أخبار قسنطينة وحكامها، دراسة وتحقيق رياض بولحبال، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2009- 2010م.

قـــــائـــــمـــــــة

الـــــفـــــهـــــــارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس المحتويات

فهرس الأعلام

-أ-

أحمد باي: ص10 ،19،61.

أحمد بن محمد بن هطال التلمساني: ص23.

أحمد القلي: ص19.

أحمد التيجاني: ص39 .

أوريلي:ص39.

ألكسي دوطوكفيل: ص48، 75،89.

أحمد الطيب بن سالم: ص52.

أطفيش: ص61.

أجيرون: ص83.

ابن الأحراش: ص9.

إيفون توران: ص77،81.

ألان كريستلو: ص87.

إبراهيم سراج المدني:ص89.

-ب-

بفايفر سيمون: ص10.

بلقاسم بن أحمد: ص37.

بيجو: ص44،51.

بيليسي: ص 47.

بوعزة بوضرساية :ص54.

بولارد: ص74.

بوجليلي: ص90.

بوضربة: ص10.

بوعكاز: ص19.

- ت- تايلور: ص20.

-ج-

الجيلالي صاري: ص36.

جيروم نابليون: ص 36.

جول فيري: ص77.

-ح-

أبو حامد المشرفي: ص57.

الحسن بن عزوز: ص80.

السيد حامد سليق: ص90.

حمدان خوجة: ص8، 9،10، 12،60،61،66،86.

الداي حسين: ص39.

حسين بن أحمد خوجة بن الشريف: ص23.

حميدة بن باديس : ص93.

-د-

دي بورمون: ص39.

دوماس : ص70.

دومال:ص76.

الدرقاوي:ص9.

ابن داود: ص84.

الديكرا بنت حسن باي: ص19.

-ر-

أبو رأس محمد الناصري: ص21،23.

رحال: ص88،94.

رشيد رضا: ص89.

-ز-

الزبيري محمد العربي: ص12،18.

زرهوني: ص83.

-س-

سعيدوني : ص12.

سليم البخاري: ص57.

سيمون بفايفر: ص17،18.

-ش-

الشريف الزهار: ص13،14،

شاو SHAW: ص23 .

شانزي : ص75.

ابن أبي شنب : ص93.

-ص-

صالح عباد

صالح العنتري: ص13،19،42،62.

الصالح السمعوني: ص52.

صوبول : ص79.

ابن الصيام: ص81، 88.

-ط-

الطيب بن أحمد: ص37.

الطاهر الجزائري ابن الشيخ صالح بن أحمد السمعوني الوغليسي: ص56.

-ع-

عصمان باي: ص10.

الداي علي باشا: ص14.

عائشة غطاس: ص17 .

عثمان بوحجر : ص15.

عمار بن صالح: ص37.

عبد الرحمن بن هشام: ص57.

عبد الحميد بن باديس ص93.

العربي التبسي: ص90.

عبد القادر الحسيني(الأمير): ص60،52،62،68،65،69،71،70،89،74.

عبد القادر الوهراني: ص61،

عبد الله باي : ص19.

عبد الرحمن باش تارزي : ص24.

عبد العزيز الثميني: ص.24

عبد القادر المجاوي: ص61،68،65،64،62،87،88، 89،92.

عطية النائلي: ص 84.

عبد الرحمن اليلولي: ص84.

علي بن عثمان : ص90.

-ف-

فلارزي : ص72.

فلة القشاعي: ص15.

-ق-

أبو القاسم سعد الله: ص18،17،23،56،86 .

-ك-

كلوزيل: ص41.

-ل-

لويس تيرمان: ص78.

لافيجري: ص40.

لاباسي :ص 73.

-م-

ابن موهوب: ص93.

محمد الإمام المنزلي: ص90.

ماك ماهون: ص35.

مصطفى بومرزاق: ص50.

محمد بن العنابي: ص50،74.

مصطفى الكبابطي: ص50،74، 76.

المهدي السكلاوي: ص52.

محمد المبارك : ص57.

محمد بن محمد المشرفي: ص57.

محمود بن الشيخ علي: ص 66،81،89.

مصطفى بن السادات: ص66،

محمد عبده : ص69،75،89.

محمد السعيد بن علي الشريف: ص80،82،88.

محمد الشريف بن الأحرش : ص 84.

محمد بن أبي القاسم الهاملي: ص62،84،90،

محمد الخضر حسين : ص92.

محمد بن مصطفى بن الخوجة: 64،67،69،71،87،89،90،94.

محمد بن عبد الرحمن الديسي: ص65،85.

محمد علي باشا: ص88.

المكي بن باديس: ص93.

المقراني: ص19 ،53.

-ن-

نور الدين عبد القادر: ص10.

- و-

وارني: ص 36.

وليام شالر: ص8،18،21،26.

فهرس البلدان والأماكن:

-أ-

استنبول: ص87.

أرزيو :ص55.

الأصنام: ص53.

الأغواط: ص23.

أولاد رياح: ص47.

ـب ـ

البحر الأسود: ص13.

باريس: ص94.

مدينة باب الواد: ص28.

باتنة: ص 53.

البرواقية: ص53.

بني منقلات: ص79.

ـت ـ

تونس: 22، 51، 52، 73، 82.

تلمسان: ص22،45، 51،54 .

تطوان : ص 51، 73.

-ج-الجزائر: ص 8،9 ، 12 ، 16،20 ، 22 ، 23، 24 ، 26 ، 27، 29، 31 ، 32، 34،35، 37، 39، 40، 43، 44، 45، 46، 47، 50، 55، 57، 60 ،61 ،62 ، 64، 67، 68،71 ، 72، 75، 76، 81، 85، 86، 87، 90، 91 ،92 ، 93، 95.

جبال الظهرة : ص47.

جنوب الجزائري: ص78.

-ح-

الحجاز: ص52.

-د-

دمشق: ص 52،52.

-ز-

الزواوة: ص74.

-س-

سيدي بلعباس: ص55 .

سوريا: ص52،54،58.

سور الغزلان: ص 53.

-ش-

شلالة: ص23.

الشلف: ص78.

الشام: ص52.

-ط-

طرابلس:ص73.

-ع-

العطاف: ص78.

عنابة: ص16، 75.

-غ-

غريس: ص57.

-ف-

فاس: ص 51.

فرنسا: ص36 ،37، 48، 73، 75،76، 77، 78 ،79، 81.

-ق-

قسنطينة: ص10 ، 14 ،16 ،19،22 ،24 ،34 ،36 ، 45، 61، 73، 75، 79،91 ، 92.

القوالي: ص34.

القرارية : ص34.

قربوسة: ص34.

-م-

مدينة الجزائر: ص8،14 ، 41، 44، 45، 55، 56، 72.

المشرق: ص89، 94.

مستغانم:ص45، 54.

معسكر: ص21، 51 ،54، 57.

المغرب الأقصى: ص21، 51، 52، 56،57، 82.

مصر: ص21، 52،73.

المدية: ص53.

مليانة: ص45.

مازونة: ص54.

ميزاب: ص74.

منطقة القبائل: ص، 78، 85.

-و-

وجدة: ص51.

وهران: ص14،23،34، 45، 51، 54،55،75.

فـهـرس المحتويات:

المحتويات	الصفحة
الإهداء	
الشكر والعرفان	
المختصرات	
مقدمة	
الفصل التمهيدي: الأوضاع الاجتماعية والثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني	07- 29
المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية	8- 19
1-السكان(عدد السكان، التركيبة السكانية)	8-12
2-الوضع المعيشي والصحي	12- 18
3-الأدوار الاجتماعية للمرأة	18- 19
المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية	20- 29
1- التعليم في الجزائر ومراحله أواخر العهد العثماني	20-22
2- الإنتاج الفكري والموروث الأدبي في الجزائر أواخر العهد العثماني	22- 24
3- العادات والتقاليد ووسائل الترفيه والتسلية	25- 29
الفصل الأول: التحولات لاجتماعية في الجزائر (1830-1900م)	31- 58
المبحث الأول: تداعيات الاحتلال الفرنسي على الأوضاع الاجتماعية للجزائريين	31- 47
1 تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري	31- 37
2 تغييب الرموز والمرجعيات العلمية والدينية ومحاولات تنصير المجتمع	37- 40
3-انتشار الفقر وتدهور الحالة الصحية للسكان	40- 43
4-تغيير التركيبة السكانية واختلال التوازن السكاني للمجتمع الجزائري	43- 47

المبحث الثاني:الهجرة أسبابها ومراحلها وأثارها على المجتمع.	47
1- أسباب الهجرة	47- 50
2-مراحل الهجرة واتجاهات المهاجرين الجزائريين	50- 53
3-أثار الهجرة على المجتمع	53- 58
الفصل الثاني: التحولات الثقافية في الجزائر (1830-1900م)	60- 95
المبحث الأول : الإنتاج الثقافي وأهم القضايا الثقافية المعالجة	60-71
1ـ الإنتاج الثقافي بين جدل الوجود و ضعفه	60- 62
2ـ أهم القضايا الثقافية التي عالجها المؤلفون	62- 71
المبحث الثاني:التعليم الجزائري في ظل السياسة الاستعمارية والموقف الجزائري منه	71- 85
1- التعليم العربي الإسلامي في الجزائر والتحولات التي طرأت عليه	71-75
ـ الموقف الجزائري من التعليم الفرنسي 2	75- 82
3-دور المؤسسات التعليمية الجزائرية في التصدي للتعليم الفرنسي	82- 85
المبحث الثالث: بوادر الإصلاح في الجزائر	85-95
1ـ الإشكالية بداية الإصلاح	86-88
2-الأسباب الكامنة وراء ظهور الإصلاح	88-89
3-المصلحون والوسائل المنتهجة للدعوة للإصلاح أو المنطلقات الأولى للإصلاح	89-95
الخاتمة	96- 99
الملاحق	100- 102

قائمة المصادر والمراجع	103-115
فهرس الأعلام والأماكن	116-127
فهرس المحتويات	128-131
الملخص	

ملخص:

يتناول موضوع مذكرتنا التحولات الاجتماعية والثقافية في الجزائر ما بين 1830-1900م الناتجة عن الاحتلال الفرنسي وسياسته التي مست المجتمع الجزائري في هذه الفترة، و تفاعل الجزائري نحوه حفاظا على شخصيته وانسجامه، رغم المقاومة السياسة الفرنسية التي ظلت تداعياتها طلية السبعين سنة الأولى للاحتلال وما بعدها.

summary:

the of memory subject is about the main, changes and challenges THAT face e society and culturel in algeria between years 1830-1900 because of the frensh colonialism and its policy, there were a deep depresion but the Algerian people saruggle to prove and preserve theis personality and his unity then resistance the frensh politics that remain with his effects for seventieth yeas ago while and after occupation.